النقد التاريخي للتوراة عند سبينوزا

" دراسة تحليلية "

إعداد

الدكتور / خالد فتحي محمد السيد عبد العزيز

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

من ١١ إلى ٨٤

ملخص البحث

النقد التاريخي للتوراة عند سبينوزا "دراسة تحليلية "

إعداد

الدكتور / خالد فتحي محمد السيد

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق

يعد سبينوزا (١٦٣٢ ـ ١٦٧٧ م) رائداً من رواد الفكر الفلسفي في العصر الحديث الذين تركوا بصمات واضحة علي العديد من المجالات والميادين الاجتماعية والسياسية والفكرية . الأمر الذي دفعني إلي أن أتناول قضية " النقد التاريخي للتوراة عند سبينوزا " بالبحث والدراسة ، متبعاً المنهج التحليلي التاريخي النقدي.

ولتحقيق هذا المنهج فقد قسمت هذا البحث إلي مقدمة ، ومدخل ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة .

أما المقدمة :

فقد اشتملت علي أهمية الموضوع ، وجدته ، وأسباب اختيار الموضوع ، ومنهج البحث ، وخطة البحث .

وأما المدخل :

فقد أوردته بعنوان " التوراة تعريفها ، وعدد أسفارها ، ولغة تدوينها ".

وأما المبحث الأول :

فقد صغته بعنوان " الفحص التاريخي للتوراة عند سبينوزا " .

وأما المبحث الثاني :

فقد جاء بعنوان " نقد سبينوزا لنسبة التوراة إلي موسي علية السلام ".

وأما المبحث الثالث :

فقد جعلته بعنوان " نقد سبينوزا لحفظ التوراة من الضياع والتحريف ".

وأما الخاتمة :

فقد اشتملت علي أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث .

هذا والله ولي التوفيق

A summary Of The Research

The criticisme historical to Torah for Spinoza " analysis study"

Written by

Dr : Khalid Fathy Muhammed El sayid

Assistant professor the faculty of Osul Aldin in Zagazig

Spinoza (1632 – 1677) is from the important philosophy in modern thought . Who left their imprint on many of the main point social , political and intellectual .

All that drives me to deal with the issue of "the criticisme historical to Torah for Spinoza "analysis study". I used tracing to the analytical , the critical historical methods . That is why I divided the research in to a preface , prefatory , three chapters and a conclusion .

The preface :

Deals with the importance of the topic , the reasons that made me choose to write about it , the methods I followed in writing and the plan that determines that research .

The prefatory :

It is titled "the Torah description and her numbers saifr and her language writing " .

Chapter one :

It is titled "the research historical to Torah for Spinoza "

Chapter two :

It is titled "Spinoza criticise to Torah which called it to Mousa has peace " .

Chapter three :

It is titled "Spinoza criticise to protection the Torah from the lost and the change " .

The Conclusion :

It includes the most important results that I have reached during my research .

May Allah bless us

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين وبعد .

فنقد النصوص القديمة أو الوثائق يدخل في إطار المنهج التاريخي الذي يقوم على دعامتين رئسيتين : النقد الخارجي للوثائق ، والنقد الداخلي للوثائق .

النقد الخارجي للوثائق يتضمن مصدر الوثيقة ، وتاريخ أنتقالها عبر العصور ، وطريقة وصولها إلينا ، وحالتها التي وصلت بها ... الخ . أما النقد الداخلي فهو يتجه أساساً على تحليل مضمون الوثيقة تحليلاً يبدأ من الخطوط واللغة ، وينتهي بقياس ما تحتوي عليه الوثيقة من معلومات تبعاً لعدة مقاييس ، بعضها تاريخي ، وبعضها عقلي ، وبعضها مقارن .

ويُعد كتاب " الفصل في الملل والأهواء والنحل " للإمام ابن حزم (ت ٤٥٦هـ) بما أشتمل عليه من نقد علمي للتوارة أول دراسة نقدية لنصوص الكتاب المقدس تسبق بآماد طويلة تلك الدراسة التي ظهرت بوادرها في أوروبا في القرن السابع عشر وازدهرت في القرن التاسع عشر .

ومن أشهر نقاد العهد القديم في القرن السابع عشر من الأوروبيين الفيلسوف اليهودي باروخ سبينوزا**Baruch Spinoza** (١٦٣٢-١٦٧٧م) في أشهر كتبه " رسالة في اللاهوت والسياسة " الذي وضع فيه نقداً شاملاً للعهد القديم على أنه كتاب أدبي قومي ، ونقده نقداً تاريخياً فتعرض للغته ، ونصه ، وزمن تأليفه ، ومستوى مؤلفيه .

ولقد اقتصرت في هذا البحث على دراسة قضية " النقد التاريخي للتوراة عند سبينوزا " لأهمية هذه القضية عنده وما يترتب عليها من تعدد في الآراء والأفكار .

ويرجع اختياري لهذا الموضوع إلى أسباب كثيرة من أهمها ما يلي :

١ – يُعد سبينوزا من رواد الفكر الغربي في دراسة قضية نقد الكتاب المقدس بصفة عامة ، والتوراة بصفة خاصة ، حيث فرض نفسه على الحياة الفكرية بعد دراسات متعمقة في أبواب الفقه اليهودي جميعاً ، وضاق بسيطرة الفكر التلمودي الخانقة فتجاسر وتعرض لنصوص التوراة ذاتها ، فأردت أن أوضح منهجه في نقد التوراة .

٢ – محاولة الاستفادة من أفكار غير المسلمين وخصوصاً اليهود في دراسة قضية النقد التاريخي للتوارة ، وتأتي أهمية ذلك في أنه يدخل ضمن " وشهد شاهد من أهلها " فيكون أقوى في الاستدلال وأكد في الاحتجاج .

٣ – إن المنهج النقدي التاريخي للتوراة لا يرجع في حدوثه إلى الأوروبيين ، كما يظن البعض ، وأنما يرجع الفضل فيه إلى علماء المسلمين في العصور الأولى ، فأردت أن أوضح ذلك .

لهذه الأسباب توكلت على الله تعالي في خوض بحث هذا الموضوع متبعاً المنهج التحليلي التاريخي النقدي ، ولتحقيق هذا المنهج فقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة ، ومدخل ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة .

- أما المقدمة : فقد اشتملت على أهمية الموضوع ، وجدته ، وأسباب اختيار الموضوع ، ومنهج البحث ، وخطة البحث .
- وأما المدخل : فقد أوردته بعنوان" التوراة تعريفها ، وعدد أسفارها ، ولغة تدوينها " وتحدثت فيه عن تعريف التوراة ، وعن أسفارها الخمسة ، وعن اللغة التي دونت بها .

- وأما المبحث الأول : فقد صغته بعنوان " الفحص التاريخي للتوراة عند سبينوزا " وتحدثت فيه عن خطوات الفحص التاريخي للتوراة – وسائر أسفار الكتاب المقدس – عند سبينوزا ، وأهم الصعوبات التي تواجه تطبيق هذه الخطوات .
- وأما المبحث الثاني : فقد جاء بعنوان " نقد سبينوزا لنسبة التوراة إلى موسى عليه السلام " وتحدثت فيه عن أهم انتقادات سبينوزا لمسألة نسبة الأسفار الخمسة (التوراة) إلى موسى عليه السلام .
- وأما المبحث الثالث : فقد جعلته بعنوان " نقد سبينوزا لحفظ التوراة من الضياع والتحريف " وتحدثت فيه عن موقف سبينوزا من قضية فقدان اليهود للتوراة وتابوت العهد ، كما تحدثت فيه أيضاً عن موقفه من التغييرات والاختلافات التي لحقت بنصوص التوراة .
- وأما الخاتمة : فقد اشتملت على أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث .

هذا ولقد بذلت في هذا البحث قصارى جهدي حتى يخرج في صورة لائقة بالبحث العلمي ، فإن كنت قد وفقت فلله الحمد والمنة ، وإن كان غير ذلك فحسبي أنني قد اجتهدت ، وأنا بشر أخطئ وأصيب وعذري أنني بذلت أقصي ما في وسعي ، ولم آل جهداً في العمل في هذا البحث ، فلا كمال إلا لله تعالى ، ولا عصمة إلا لأنبيائه عليهم الصلاة والسلام .

وأرجو أن يكون عملي هذا مقبولاً عند الله إنه سميع قريب

" وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ " سورة هود: ٨٨.

المدخل

التوراة

تعريفها ، وعدد أسفارها ، ولغة تدوينها

تمهيد:

مما لاشك فيه أن الله عز وجل قد أنزل التوراة على سيدنا موسى عليه السلام ، يقول الله تعالى : وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ" [١] ، ويقول أيضاً : " اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ . نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ . مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ " [٢] .

وأمرنا الله عز وجل بالإيمان بما أُنزل على سيدنا موسى وعيسى عليهما السلام والنبيون من ربهم ، يقول الله تعالى : " قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ"[٣].

إلا أن القرآن الكريم قد نبه إلى أن اليهود قاموا بتضييع التوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام وتحريفها ، وأن فريقاً منهم قام بكتابة التوراة بأيديهم ، ثم زعموا نسبتها إلى الله تعالى ، وما هي من عند الله ، وأنهم قاموا بإخفاء وكتمان أجزاء كثيرة من التوراة الصحيحة ، يقول الله تعالى : " وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ

---

(١) سورة الإسراء : آية رقم ٢ .

(٢) سورة آل عمران : آيات رقم ٢ ، ٣ ، ٤ .

(٣) سورة آل عمران : آية رقم ٨٤ .

يَعْلَمُونَ " [١] ، ويقول أيضاً : " مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ "[٢] ، ويقول أيضاً : " قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا " [٣].

وقدأشار النبى صلى الله عليه وسلم إلى عبث اليهود بالتوراة وقيامهم بتحريفها وتغييرها إذ أنه رأى ورقة من التوراة في يد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأمره بإلقائها وأن لا يضيع وقته في قراءة ما بها من كذب وتحريف ثم قال : " ألم آتكم بها بيضاء نقية ؟ والله لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا اتباعي " [٤] أي أن هذه التوراة المزعومة ملطخة بسواد التحريف والتغيير وقد أنزل الله على رسوله صلي الله عليه وسلم في القرآن ملخصاً لما كانت تشتمل عليه التوراة من عقيدة وشريعة وقصص ، فأحياها في صورتها الصحيحة نقية بيضاء ، وأن موسى عليه السلام لو بعث الآن لتبرأ من توراتهم واتبع القرآن الذي أنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . [٥]

فما تعريف التوراة التي بأيدي اليهود والنصارى ؟ وما عدد أسفارها ؟ وما اللغة التي دونت بها ؟

هذا ما سنجيب عليه من خلال العناصر الآتية :

---

(١) سورة آل عمران : آية رقم ٧٨ .

(٢) سورة النساء : آية رقم ٤٦ .

(٣) سورة الأنعام : آية رقم ٩١ .

(٤) راجع : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي ، دار المعرفة ، بيروت ، كتاب " التوحيد " ، باب رقم ٥٥ " قول الله تعالى: " بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ " ، ج٣ ، ص ٢٢٥ .

(٥) انظر: د / علي عبد الواحد وافي : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٤م ، ص ١٨ .

أولاً : تعريف التوراة

جاء في موسوعة اليهود واليهودية : " التوراة Torahكلمة من أصل عبري مشتقة من فعل(يورية) بمعنى يعلم ، أو يوجه . وربما كانت مشتقة من فعل (باراه) بمعنى يجري قرعة . ولم تكن كلمة (توراة) ذات معنى محدد في الأصل ، إذا كانت تستخدم بمعنى وصايا ، أو شريعة ، أو علم ، أو أوامر ، أو تعاليم ، وبالتالي كان اليهود يستخدمونها للإشارة إلى اليهودية ككل ، ثم أصبحت تشير إلى البنتاتوخ أو أسفار موسى الخمسة ، ثم صارت الكلمة تعني العهد القديم كله مقابل تفسيرات الحاخامات ، ويشار إلى التوراة أيضاً بأنها القانون أو الشريعة ، ويبدو أن هذا قد تم بتأثير الترجمة السبعينية التي ترجمت كلمة (توراة) بالكلمة اليونانية (نوموس) أي القانون" [١].

وجاء في قاموس الكتاب المقدس : " التوراة أو الناموس هي أسفار موسى الخمسة " [٢] . ثم أورد تعريف الناموس بأنه : " اسم يوناني الأصل معناه شريعة أو قانون . وناموس موسى أي الشريعة التي وضعها موسى ، بوحي من الله في الحقول المدنية والاجتماعية والأدبية والطقسية ... وسميت شريعة موسى ناموس لأن فيها صفات الناموس ... وهي ليست شريعة موسى إلا بالاسم ، لأنها من عند الله ، ومن وضع الله إنما سلمت إلى البشر عن طريق موسى في سيناء " [٣] .

([١]) د / عبد الوهاب المسيري : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشرق ، الطبعة الأولى ،القاهرة ،١٩٩٩م ، ج ٥ ، ص ٨٦ ، ص ٨٧ .

([٢]) قاموس الكتاب المقدس : تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين بإشراف د / بطرس عبد الملك ، وآخرون ، دار الثقافة ، الطبعة الثانية عشر ، القاهرة ، ص ٤٦٧ .

([٣]) المرجع السابق ، ص ٩٧٨ ، ص ٩٧٩ .

وعرف موريس بوكاي التوراة بقوله : " التوراة أو الأسفار الخمسة هي الاسم السامي والعبارة اللاتينية التي أطلقت في الفرنسية : الأسفار الخمسة تعني مؤلفاً من خمسة أجزاء التكوين ، الخروج ، اللاويون ، العدد ، التثنية ، التي تشكل العناصر الخمسة الأولى من مجموعة التسعة والثلاثين كتاباً من العهد القديم هذه المجموعة من النصوص تتناول أصول العالم حتى دخول الشعب اليهودي إلى أرض كنعان ، أرض الميعاد بعد المنفى في مصر . أي بدقة حتى موت موسى عليه السلام " (١).

مما سبق نستطيع أن نعرف التوراة بأنها : كلمة عبرية معناها الهداية والإرشاد . وتسمى بالشريعة أو القانون ، ويطلق عليها أيضاً الناموس ، وقد اتخذت باليونانية اسم " بانتاتيكوس " أي الكتاب ذو الأسفار الخمسة التي تبدأ مع بدء الخليقة وتنتهي بخبر وفاة موسى عليه السلام .

ثانياً : عدد أسفار (*)التوراة

تتكون التوراة من أسفار موسى – عليه السلام – الخمسة والتي تشكل القسم الأول من العهد القديم (**) وهي على النحو التالي :

---

(١) موريس بوكاي : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، ترجمة الشيخ / حسن خالد ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٤١١ هـ ١٩٩٠ م ، ص ٣١ .

(*) أسفار جمع سفر ، وهو سفير بالعبرية ، ويعني كتاباً ويشار إلى كتب العهد القديم بكلمة أسفار ، ويقسم السفر إلى إصحاحات ، ويقسم كل إصحاح إلى فقرات ، وتقسم كل فقرة إلى مقاطع . انظر: د / عبد الوهاب المسيري : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ،ج٥ ، ص٨٨ .

(**) العهد القديم **old Testament** مصطلح يستخدمه المسيحيون للإشارة إلى كتاب اليهود المقدس ، بينما يستخدم مصطلح العهد الجديد للإشارة إلى الأسفار التي تتضمنها الأناجيل الأربعة وإلى أعمال الرسل ورسائلهم " سبعة وعشرين سفراً " . أما اليهود أنفسهم فيستخدمون عبارة " سيفري هاقودش " أو " كتبي هاقودش " أي الكتب المقدسة

السفر الأول : سفر التكوين أو الخلق

ويسمى في اللغة العبرية " بريشت " أي " فِي الْبَدْءِ " وهي أول كلمة ترد في السفر . [١]

وسمى سفر التكوين بهذا الاسم لاشتماله على قصة خلق العالم ، وخلق الإنسان الأول ، ويشمل السفر بالإضافة إلى هذا قصة الخطيئة التي ارتكبها أبو البشر ونزوله إلى الأرض عقاباً له ، ثم حياة أولاده وما جرى بينهم ، فقصة الطوفان ونشأة الشعوب بعده ، وقصة إبراهيم عليه السلام وتجواله ونسله إلى إسحاق ويعقوب عليهما السلام ، وأولاد يعقوب عليه السلام وبخاصة يوسف عليه السلام ، وما جرى له إلي أن أصبح ذا شأن كبير بمصر واستدعى إليه أباه وأخواته ، وبموت يوسف عليه السلام ينتهي السفر .

ويرى ديريك كدنر أن سفر التكوين أقرب إلى العهد الجديد منه إلى العهد القديم ، فيقول : " وفي الحقيقة يعتبر سفر التكوين سفراً أقرب إلى العهد

ويستخدمون أحياناً تعبير" كتوفيم " أي الكتب ، كما يستخدم لفظ " توراة " في بعض الأحيان . ومن الألفاظ الأخرى المستخدمة لفظ " المقرا " و " تناخ " . انظر : د / عبد الوهاب المسيري : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ج٥ ص ٨٤ . وقاموس الكتاب المقدس ، ص ٦٤٤ ، ص ٤٦٧ ، ص ٤٦٨ . و د / علي عبد الواحد وافي : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص ١٣ . و د / أحمد شلبي : اليهودية ، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السابعة، القاهرة ، ١٩٨٤م ، ص ٢٣٠ . و د / فؤاد حسنين علي : التوراة الهيروغليفية ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ص ٩ ، ص١٢ ، ص١٣.

(١) انظر : د / أحمد شلبي : اليهودية ، ص ٢٣٣ . و د /عبد الوهاب المسيري : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ج ٥ ، ص ٩٠ . و د / حسن ظاظا : الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه ، دار القلم، الطبعة الرابعة ، دمشق، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م ، ص ١٤ .

الجديد منه إلى القديم ويكاد نسمع عن بعض مواضيعه ثانية حتى يتم أتمامها كاملاً في الإنجيل " [١].

السفر الثاني : سفر الخروج

ويسمى في اللغة العبرية " شيموت " أي " أَسْمَاءُ " وهي كلمة مأخوذة بتركيب الحروف الأولى من كلمات العبارة الإفتتاحية فيه. [٢]

وسمي سفر الخروج بهذا الاسم لتناوله خروج بني إسرائيل من مصر ، ويحتوي هذا السفر على قصة بني إسرائيل بعد يوسف عليه السلام ، وما عانوه من الفراعنة ، وظهور موسى عليه السلام وخروجه بهم من مصر . ويستمر هذا السفر في قص تاريخ بني إسرائيل حتى يصل بهم إلى شرق الأردن .

وفي هذا السفر أيضاً الوصايا العشر التي أعطاها الله تعالى لموسى عليه السلام ، وبه كذلك كثير من المسائل التشريعية والتعاليم الدينية الخاصة بإله بني إسرائيل ، ومنها وصف خيمة الاجتماع وتابوت العهد ، وما حدث من بني إسرائيل في غيبة موسى عليه السلام .

السفر الثالث : سفر اللاويون أو الأحبار

ويسمى في اللغة العبرية " وايقرا " أي " وَدَعَا " أو " ونادى " وهي الكلمة التي يبدأ بها سفر اللاويين ، وكان في الماضي يعرف باسم " تورات كوهانيم " أي شريعة الكهنة . [١]

([١]) ديريك كدنر : التفسير الحديث للكتاب المقدس ، سفر التكوين ، ترجمة / القس بخيت متى ، دار الثقافة، الطبعة الأولى، القاهرة ، ص ١٤ .

([٢]) انظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص ٣٣٩ – ص ٣٤١. و د / عبد الوهاب محمد المسيري : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ج٥ ، ص ٩٠. ود / أحمد شلبي : اليهودية ، ص ٢٣٣ .

ويحتوي هذا السفر على كثير من التشريعات والوصايا والأحكام مثل كفارات الذنوب ، والأطعمة المحرمة ، والأنكحة المحرمة ، ومثل الطقوس والأعياد والنذور والطهارة ، كما يحتوي كثيراً من الأمور المتصلة بالعادات والأوامر الدينية التي يستحق من اتبعها الثواب ومن خالفها العقاب .

السفر الرابع : سفر العدد

ويسمى في اللغة العبرية " بميدبار " أي " فِي بَرِّيَّةِ " وهي أول كلمة ترد في السفر [٢] . وسمى بهذا الاسم نظراً لكثرة الإحصاءات التي هي موضوع الفصول الأولى[٣] . ويعتبر أشد أسفار التوراة تعقيداً وأكثرها تناقضاً .

ويحتوي سفر العدد على سيرة بني إسرائيل في برية سيناء وما بعدها ، وفيه كثير من التنظيمات والتعاليم الطقسية والكهنوتية والاجتماعية والمدنية .

السفر الخامس : سفر التثنية

ويسمى في اللغة العبرية " ديفاريم " أي " الْكَلاَمُ " وهي أول كلمة ترد في السفر ، ويسمى أيضا " مشنا توراة " أي إعادة الشريعة وتكرارها على جماعة بني إسرائيل مرة ثانية عند خروجهم من سيناء ، أو تثنية الأشتراع . [١]

([١]) انظر د / عبد الوهاب المسيري : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ج٥ ، ص٩٢ . ود / أحمد شلبي : اليهودية ، ص٢٣٣، ص٢٣٤ . ود / محمد علي البار : مدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، دار القلم ، الطبعة الأولي ، دمشق ، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م ، ص١٨٨ .

([٢]) انظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص ٦٠٩ – ص٦١١ . ود / عبد الوهاب المسيري : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ج٥ ، ص ٩١ . و د / أحمد شلبي : اليهودية ، ص ٢٣٤ .

([٣]) انظر : د / محمد علي البار : مدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، ص ١٩٦ .

ففي سفر التثنية عرضت الوصايا العشر عرضاً جديداً ، كما أعيد الكلام فيه عن الأطعمة الحلال والحرام ، وعن نظام القضاء والملك عند بني إسرائيل ، وتحدث هذا السفر عن الكهنة والنبوة ، كما تحدث عن أنتخاب يشوع بن نون خلفاً لموسى عليه السلام ، وينتهي السفر بخبر وفاة موسى عليه السلام ودفنه في جبل موآب .

ويعتبر سفر التثنية أشد تماسكاً مما هو موجود في أسفار التوراة الأخرى ، يقول طومسون : " سفر التثنية وحدة واحدة ليس فقط تكوينه وبنياته ، وإنما أيضاً في قوة أسلوبه وبيانه الذي يتميز بالبساطة ووضوح الفكر وفصاحة اللغة " [٢].

مما سبق نجد أن التوراة تتكون من أسفار موسى الخمسة ، وهي سفر التكوين ، وسفر الخروج ، وسفر اللاويون ، وسفر العدد ، وسفر التثنية ، وهي الأسفار الخمسة الأولى من مجموعة التسعة والثلاثين سفاراً من العهد القديم ، والتي تغطي فترة من التاريخ تبدأ مع بدء الخليقة وتنتهي بوفاة موسى عليه السلام ودفنه في جبل موآب .

ثالثاً : اللغة التي دونت بها التوراة

يذكر علماء اللغات أن جميع أسفار العهد القديم قد دونت بلغة واحدة وهي اللغة العبرية ، ما عدا بعض الفقرات التي ألفت أول الأمر باللغة الآرامية ،

([١]) انظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص ٣٤٨. ود/ عبد الوهاب المسيري : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ج٥ ، ص ٩١ . و د/ أحمد شلبي : اليهودية ص ٢٣٥ . و د/ محمد علي البار : مدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، ص ٢٠٠ ، ص٢٠١ . و طومسون : التفسير الحديث للكتاب المقدس ، سفر التثنية ، ترجمة / القس جاد المنفلوطي ، دار الثقافة، الطبعة الأولى ، القاهرة، ص ١٢ .

([٢]) طومسون : التفسير الحديث للكتاب المقدس ، سفر التثنية ، ص ٣٦ .

وهذه الفقرات عبارة عن بعض أجزاء من سفري عزرا ودانيال ، وفقرة واحدة من سفر أرمياء ، وكلمتين أثنتين في سفر التكوين وردتا باللغة الآرمية عن قصد [١] .

وجاء في قاموس الكتاب المقدس : " إن أكثر العهد القديم كتب بالعبرانية وهي لغة سامية تشبه العربية من وجوه كثيرة . وقد وجد في العهد القديم بعض فصول بالآرامية وهي لغة شبيهة بالعبرانية " [٢]. فاللغة العبرية إذاً هي اللغة التي دونت بها التوراة ما عدا كلمتين اثنتين في سفر التكوين وردتا باللغة الآرامية .

ومما هو جدير بالذكر أن الدكتور فؤاد حسنين قد ذكر أن توراة موسى لم تدون باللغة العبرية بل دونت باللغة المصرية القديمة ، فتوراة موسى إذاً هي هيروغليفية الأصل . وذلك لأن العبرية لم يعرفها موسى ولم يعرفها الإسرائيليون طيلة حياة موسى ، فموسى عاش وتوفي قبل أن توجد العبرية ويعرفها الإسرائيليون ، فكما تذكر المصادر اليهودية وغيرها ولد في مصر ، وتسمى باسم مصري ، وتهذب بكل حكمة المصريين [٣].

ويذهب الدكتور حسن ظاظا إلى أننا لا نعرف معرفة يقينية اللغة التي كتب بها موسى رسالته ، ومهما يكن من شئ حتى على أفتراض أنها العبرية فلا

([١]) انظر : د / علي عبد الواحد وافي : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص ١٩ . وفقه اللغة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ص ١١ .

([٢]) قاموس الكتاب المقدس ، ص ٧٦٣ .

([٣]) راجع تفصيل هذا الرأي : د / فؤاد حسنين علي : التوراة الهيروغليفية ، ص ٣، ص٨، ص٥٧ – ٥٩ .

شك أنها كانت تختلف أختلافاً بيناً جداً عن عبرية النص المقدس الذي بين أيدينا اليوم . [١]

وعلى العموم فقد ترجمت التوراة من اللغة العبرية إلى لغات أخرى لتسد حاجة اليهود الذين لم يعرفوا اللغة العبرية ، كذلك ترجمها المسيحيون لينتفع بها الذين اعتنقوا المسيحية

ومن أهم الترجمات ما يلي :

١ – الترجمة السبعينية : **Septuagint:**

كلمة " سبتواجينت " الإنجليزية من الكلمة اللاتينية " سبتواجينتا " ومعناها سبعون . وهي إشارة إلى الأسطورة القائلة بأن أثنتين وسبعين من علماء اليهود قاموا بترجمة العهد القديم العبري إلى اليونانية بأمر بطليموس الثاني فيلادلفوس (٢٨٢ – ٢٤٧) ق . م .

وتعد الترجمة السبعينية من أقدم ترجمات العهد القديم ، حيث ترجموا أسفار موسى الخمسة (التوراة) إلى اليونانية في النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد (٢٨٥ – ٢٤٧ ق . م) ، أما بقية أسفار العهد القديم فقد ترجمت في الفترة بين سنة (٢٥٠ – ١٠٠ ق . م) وتشتمل الترجمة السبعينية على أسفار الأبوكريفا (*) التي لا توجد في الأصل العبري الذي وصل إلينا . [١]

([١]) د / حسن ظاظا : الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه ، ص ٢٧.

(*) الأبوكريفا : كلمة يونانية معناها " مخفي " أو " مخبأ " أو " سري " وفي قاموس الكتاب المقدس الأبوكريفا أي الأسفار غير القانونية . انظر قاموس الكتاب المقدس ، ص ٧٦ . وحبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس، صدر عن دار التأليف والترجمة والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة ، المطبعة الفنية الحديثة، ص ١٨٤ ، ص ١٨٥ . و د / فؤاد حسنين علي : التوراة الهيروغليفية ، ص ١٩٢ . و د / مصطفى كمال عبد

٢- الترجمة السامرية :

توجد ترجمة آرامية للتوراة يستخدمها السامريون وتعرف بالترجمة السامرية ، ولقد كانت التوراة السامرية أصلاً بالعبرية ، ولكنها بحروف سامرية ، ولكن عندما فقد اللسان العبري بين السامريين رأوا أنهم في حاجة إلى ترجمة باللغة اللآرامية التي يفهمونها ، ولقد بدأ تصنيفها في مطلع القرن الأول الميلادي واستمر العمل بها حتى حلت اللغة العربية محل الآرامية في القرن الحادي عشر. [٢]

٣ – الترجمة اللاتينية :

ترجم العهد القديم عن الترجمة السبعينية إلى اللغة اللاتينية في أواخر القرن الأول الميلادي على الأرجح ويطلق عليها اسم الترجمة اللاتينية القديمة . ثم قام القديس أيرونيموس في الفترة بين ٣٩٢ – ٤٠٥ م بعمل

العليم : اليهود في عصر البطالمة والرومان ، مكتبة القاهرة الحديثة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦ م ، ص ١٢١ .

([١]) انظر : د / عبد الوهاب المسيري : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ج٥ ، ص ٩٠ . وقاموس الكتاب المقدس ، ص ١٧٩ ، ص ٧٦٨ . وكاترين هنري : التاريخ في الكتاب ، خلاصة كتابين باللغة الإنجليزية تلخيص حبيب سعيد ، صدر عن دار التأليف والترجمة والنشر للكنيسة الأسقفية بمصر ، مطبعة النيل المسيحية ، ص ١٢١ ، ص ١٢٢. وحبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس ، ص ٤٩ ، ص٥٠ . وسبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ترجمة وتقديم د / حسن حنفي ، دار الطليعة ، الطبعة الرابعة ، بيروت ، ١٩٩٧ م ، ص ٣٠٨ .

([٢]) انظر : كاترين هنري : التاريخ في الكتاب ، ص ١٢٣ ، ص ١٢٤. و د / فتحي محمد الزغبي : تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، الطبعة الأولى ، طنطا، ١٩٩٤ م ، ص ٥٩ ، ص ٦٠.

ترجمـة إلـى اللاتينيـة نقـلاً عن العبريـة مباشرة ، وتسمى هذه الترجمـة باسـم اللاتينية الأصلية إذ تعتبر أساس الكتاب المقدس اللاتيني. [١]

٤ – الترجمة الآرامية الحديثة :

ترجم أحبار اليهود في فلسطين أسفار العهد القديم من العبرية إلى اللهجـة الآرامية الحديثة – إحدى لهجات اللغة اللآرامية وكانت مستخدمة في منطقة فلسطين وما إليها – وساروا في ترجمتهم هذه على منهج خاص يختلف عن مناهج التراجم المعتادة فكانوا يدونون الفقرة بنصها العبري ، ثم يتبعونها بترجمتها إلى اللغة الآرامية .

وقد أطلق على كتبهم هذه اسم " الترجوم " ومن أشهرها ترجوم " أنقلوس " وهو ترجمة للأسفار الخمسة وحدها ، وترجوم " يوناثان " وهو ترجمة لبقية أسفار العهد القديم .

وقد ألفت هذه الترجمة في الفترة الواقعة بين أوائل القرن الثاني وآواخر القرن الخامس الميلادي ، وتم معظمها في القرنين الرابع والخامس الميلاديين . [٢]

٥ – الترجمة السوريانية :

---

(١) انظر: حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس ، ص ٥٢ . و د / فؤاد حسنين علي : التوراة الهيروغليفية ، ص ٢٨ . و د / علي عبد الواحد وافي : الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص ٢٠ .

(٢) انظر : د / علي عبد الواحد وافي : فقه اللغة ، ص ٦٥ ، ص ٦٦ . والأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، ص ٢١ . وقاموس الكتاب المقدس ، ص ٧٦٨ . وسهيل ميخائيل ديب : التوراة بين الوثنية والتوحيد ، دار النفائس، الطبعة الثانية، بيروت ، ١٩٨٥ م ، ص ٢٤ ، ص ٢٥ .

ترجمت التوراة وسائر أسفار العهد القديم إلى اللغة السريانية – وهي إحدى شعب اللغة الآرامية – في خلال القرن الثاني الميلادي ليخدم الطوائف اليهودية التي انتشرت بينها هذا اللسان الآرامي ، وقد قبلتها الكنيسة المسيحية وراجعتها وصارت ابتداء من القرن الخامس الميلادي هي النسخة التي يأخذ بها النصاري اليعاقبة والنسطوريون . [١]

٦ – الترجمة العربية :

جاء في قاموس الكتاب المقدس أن أول ترجمة عربية للعهد القديم قام بها " يوحنا " أسقف أشبيلية في عام ٧٢٤ م قاصداً أن يساعد المسيحيين والمغاربة بواسطتها ، ثم قام بعد ذلك ، سعدياجاون أو سعيد بن يوسف الفيومي (٨٩٢ – ٩٤٢م) بترجمة التوارة من العبرانية إلى اللغة العربية ، لمنفعة يهود المشرق وشرحها " إبراهيم بن عزرا " شرحاً وافياً ، ثم أتى موسى بن ميمون (١١٣٥ – ١٢٠٤ م) فقدم تفسيراً عقلياً للتوارة ، وفي عام ١٢٥٠ م قام هبة الله بن العسال بترجمة الكتاب المقدس من القبطية إلى العربية . هذا وقد طبع الكتاب المقدس باللغة العربية في مجموعة باريس المتعددة اللغات عام ١٦٤٥ م ، وفي مجموعة لندن عام ١٦٥٧ م ، ونشرت ترجمة عربية من روما سنة ١٦٧١ م . [٢]

---

(١) انظر : حبيب سعيد : المدخل إلى الكتاب المقدس ، ص ٥٢ . و د / علي عبد الواحد وافي : فقه اللغة ، ص ٥٩ – ص ٦١ . و د / فتحي محمد الزغبي : تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ، ص ٦١ .

(٢) انظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص ٧٧١ . وسهيل ميخائيل ديب : التوراة بين الوثنية والتوحيد ، ص ٢٦ . و د / محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء التاسع ، إسرائيل ، طبعة الإسكندرية ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ، ج٩ ، ص ١١٩ .

وعلى العموم تعتبر التوراة هي أصح الكتب وأشهرها عند اليهود والنصارى ، وتتألف من خمسة أسفار تنسب إلى موسى عليه السلام ، وتغطي هذه الأسفار الخمسة فترة من التاريخ تبدأ مع بدء الخليقة وتنتهي بوفاة موسى عليه السلام ودفنه في جبل موآب .

ويلاحظ أن بأيدي السامرة توراة غير التوراة العبرانية التي بأيدي سائر اليهود ، ويزعمون أنها المنزلة من عند الله ، ويقطعون أن التي بأيدي اليهود محرفة ومبدلة ، وسائر اليهود يقولون إن التي بأيدي السامرة محرفة ومبدلة .

المبحث الأول

الفحص التاريخي للتوراة عند سبينوزا

تمهيد :

النقد والتناقد فى اللغة: تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها ، والنقد مصدر نقدته دراهمه ونقدته الدراهم ونقدت له الدراهم أى أعطيته فانتقدها أى قبضها . ونقدت الدراهم وانتقدتها إذا أخرجت منها الزيف .. والدرهم نقد أى

وازن جيد . وناقدت فلاناً إذا ناقشته فى الأمر [١]. فالنقد إذاً هو تمييز الجيد من الرادئ فى الكلام وغيره .

وقد انتشرت كلمة " نقد " فى القرن السابع عشر لتدل على تقييم الأعمال الأدبية ، والنقد التاريخى تأتى أهميته فى حسم مشكلة الصحة التاريخية التى تشتمل أولاً : إثبات صحة نسبة النص إلى المؤلف المنسوب إليه ، وهو ماسماه النقاد المحدثون " نقد المصادر " ، وماسماه علماء الحديث قديماً " السند ". وثانياً : إثبات تكامل النص من حيث المضمون ، وهو ما سماه النقاد المحدثون " نقد أعادة تكوين النص " ، وما سماه علماء الحديث قديماً " المتن " [٢].

ويعد سبينوزا من أشهر نقاد العهد القديم في العصر الحديث ، ومن أعظم من تصدى لقومه بالنقد في أشهر كتبه " رسالة في اللاهوت والسياسة " الذي يعتبر بحق البحث الرائد للدراسات النقدية لأسفار العهد القديم في العصر الحديث ، يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري : " يُعد سبينوزا من أوائل المفكرين الذين وضعوا دعائم العلم الذي يسمى (نقد العهد القديم) أي النقد

---

(١) راجع : ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ، بيرت ، ج ٣ ، ص ٤٢٥ . وابن فارس : مقاييس اللغة ، تحقيق / عبد السلام هارون ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٢م ، ج ٥ ، ص٤٦٧ . وأبو بكر الرازى : مختار الصحاح ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، الطبعة التاسعة ، ١٩٦٠م ، ص ٦٧٥ . والفيروز آبادى : القاموس المحيط ، دار الجيل ، بيروت ، ج ١ ، ص ٣٥٤ .

(٢) راجع : د/ حسن حنفى : مقدمته لكتاب رسالة فى اللاهوت والسياسة لسبينوزا ، هامش ص ١٨ .

التاريخي للكتب المقدسة " [١]، ويقول توملين : " لم يظهر ما يسمى باسم النقد السامي للكتاب المقدس ، كما يعتقد كثيرون ، في القرن التاسع عشر لقد بدأه الفيلسوف اليهودي سبينوزا " [٢].

فذهب سبينوزا إلى أن النقد التاريخي سابق على الإيمان بالمصدر الإلهي للكتاب المقدس وهو الضامن لصحته من حيث هو وثيقة تاريخية تحتوي على الوحي الإلهي ، وتحتاج إلى تحقيق مضبوط [٣] .

ومن هنا نجد سبينوزا قد أدرك أهمية البحث التاريخي والنقدي للكتاب المقدس، فيقول : " أهمل القدماء المعرفة التاريخية والنقدية للكتاب المقدس بالرغم من ضرورتها ، وبالرغم من أنهم دونوها ونقلوها فقد فقدت بعد أن أصابتها عوادي الزمان ، وبالتالي ضاع منا كلية جزء كبير من الأسس والمبادئ التي تقوم عليها معرفة الكتاب المقدس . ولقد كان بالامكان تحمل ذلك لو ظل الخلف فيما بعد ، ملتزماً حد الاعتدال ، ونقل بأمانة إلى المتأخرين القليل الذي وجده دون أن يدخل عليه بدعوى اختلقها هو . فقد كانت خيانته سبباً في أن أصبحت المعلومات التاريخية عن الكتاب ناقصة بل وكاذبة ، أي أن الأسس التي تقوم عليها معرفة الكتاب ليست غير كافية فقط من حيث الكم ، بحيث لا نستطيع أن نقيم عليها شيئاً كاملاً بل أنها أيضاً معيبة من حيث الكيف " [٤] .

---

(١) د / عبد الوهاب المسيري : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ج٣ ، ص ٣٨٠ .

(٢) توملين : فلاسفة الشرق ، ترجمة / عبد الحميد سليم ، دار المعارف ، ١٩٨٠ م ، ص ١٠٠ .

(٣) انظر : سبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص ٢٤٢ .

(٤) سبينوزا : المصدر السابق، ص ٢٦٥ .

ودعا سبينوزا إلى وضع قواعد هذا العلم – البحث التاريخي والنقدي للكتاب المقدس – وتكملتها ورفض الزائف منها ، فيقول : " عقدت العزم على أن أعيد من جديد فحص الكتاب المقدس بلا ادعاء وبحرية ذهنية كاملة ، وألا أثبت شيئاً من تعاليمه أو أقبله ما لم أتمكن من استخلاصه بوضوح تام منه . وعلى أساس هذه القاعدة الحذرة وضعت لنفسي منهجاً لتفسير الكتب المقدسة " [١] .

ولقد حدد سبينوزا منهجه في تفسير الكتاب المقدس بقوله : " المنهج الصحيح الذي يجب اتباعه لتفسير الكتاب لا يختلف في شئ عن المنهج الذي نتبعه في تفسير الطبيعة ، بل يتفق معه في جميع جوانبه ، فكما أن منهج تفسير الطبيعة يقوم أساساً وقبل كل شئ على ملاحظة الطبيعة ، وجمع المعطيات اليقينية ، ثم الانتهاء منها إلى تعريفات الأشياء الطبيعية ، فكذلك يتحتم علينا في تفسير الكتاب أن نحصل على معرفة تاريخية مضبوطة ، وبعد الحصول عليها أي على معطيات ومبادئ يقينية ، يمكننا أن ننتهي من ذلك إلى استنتاج مشروع لفكر مؤلفي الكتاب . وعلى هذا النحو (أعني إذا لم نسلم بمبادئ وبمعطيات لتفسير الكتاب ولتوضيح محتواه إلا ما يمكن استخلاصه من الكتاب نفسه ومن تاريخه النقدي) يستطيع كل فرد أن يتقدم في بحثه دون التعرض للوقوع في الخطأ كما يستطيع أن يكون فكرة عما يتجاوز حدود فهمنا ، يكون لها نفس اليقين الذي لدينا عما نعرفه بالنور الطبيعي " [٢].

ويعلق الدكتور حسن حنفي على هذا المنهج بقوله : " إن منهج سبينوزا في تفسير الكتاب المقدس هو النقد الداخلي الذي يعتمد على العقل وعلى مبدأ

---

(١) سبينوزا : المصدر السابق ، ص ١١٧ .

(٢) سبينوزا : المصدر السابق ، ص ٢٤٢ .

الاتساق وعلى هذا الأساس يرفض نظرية موسى بن ميمون التي تفسر الكتاب بالعقل أي بمبادئ خارجية عنه ، وذلك لأن الأسرار والمعجزات والإيمان والوحي كل ذلك ليس غريباً على العقل الصحيح . ولم يتناول النقاد قبل سبينوزا إلا موضوع صحة النصوص ، لكن سبينوزا هو الذي أسس منهج النقد التاريخي القائم على النقد الداخلي والخارجي على السواء كما يرمي إلى غاية فلسفية بعيدة وهي التحرر، وبذلك يمتاز سبينوزا على ريتشارد سيمون R. Simon ومؤلفاته النقدية التي كان يرمي بها فقط إلى دراسة صحة النصوص دون وضع سلطة الكتاب موضع الشك لأنه كلام الله بالمعنى التقليدي ، أما سبينوزا فإنه يرمي في نهاية المطاف إلى أعلان سلطان العقل وتأكيد الحرية " (١).

ويبدو أن الدكتور حسن حنفى أراد بقوله : " ولم يتناول النقاد قبل سبينوزا إلا موضوع صحة النصوص ، لكن سبينوزا هو الذي أسس منهج النقد التاريخي القائم على النقد الداخلي والخارجي على السواء " أن ذلك فى العصر الحديث ، لاعلى العموم ، إذ أن سبينوزا كان مسبوقاً فى هذا المجال بكثير من أئمة المسلمين الذين تعرضوا لنقد الكتاب المقدس . فالنقد التاريخى للكتاب المقدس لم يكن وليد الفلسفة الحديثة بحال ، بل هو وليد الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى ، وإن حركة نقد الكتاب المقدس فى الغرب قد تأثر فلاسفتها وأعلامها بالفكر الإسلامى واستمدوا منه بشكل مباشر وغير مباشر .

وعلى العموم لقد وضع سبينوزا خطوات رئيسة للفحص التاريخي للتوراة – وسائر أسفار الكتاب المقدس – كما نبه على الصعوبات التي تواجه تطبيق هذه الخطوات .

---

(١) د / حسن حنفي : تعليقه على كتاب رسالة في اللاهوت والسياسة لسبينوزا ، هامش ص ٢٤٢ ، ص ٢٤٣ .

وهذا ما سنوضحه من خلال العنصرين الآتيين :

أولاً : خطوات الفحص التاريخي للتوراة عند سبينوزا

يتضمن الفحص التاريخي للتوراة – وسائر أسفار الكتاب المقدس – على الخطوات الآتية:

الخطوة الأولى :

معرفة خصائص وطبيعة اللغة العبرية التي دونت بها التوراة ، يقول سبينوزا : " يجب أن يفهم طبيعة وخصائص اللغة التي دونت بها أسفار الكتاب المقدس والتي اعتاد مؤلفيها التحدث بها . وبذلك يمكننا فحص المعاني التي يمكن أن يفيدها النص حسب الاستعمال الشائع . ولما كان جميع من قاموا بالتدوين ؛ سواء في العهد القديم أو في العهد الجديد عبرانيين ، فلا شك أن معرفة اللغة العبرية ضرورية قبل كل شئ ، لا لكي نفهم أسفار العهد القديم المكتوبة بهذه اللغة فحسب بل لكي نفهم أيضاً أسفار العهد الجديد . فهذه الأسفار الأخيرة ، مع أنها انتشرت بلغات أخرى ، إلا أنها مملوءة بالتعبيرات العبرية "[١].

من خلال هذا النص نجد سبينوزا قد نادى باستخدام قواعد اللغة العبرية لتفسير الكتاب المقدس بصفة عامة والتوراة بصفة خاصة ، وهذا يشبه ما يتطلبه المفسرون المسلمون من ضرورة العلم بمبادئ اللغة العربية لتفسير آيات القرآن الكريم كشرط أول له .

الخطوة الثانية :

جمع نصوص كل سفر من الأسفار المقدسة وفهرستها في موضوعات رئيسة ، حتى يمكن أستعمال النصوص التي تتعلق بنفس الموضوع مرة

---

(١) سبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص ٢٤٤ .

واحدة ، يقول سبينوزا : " يجب تجميع آيات كل سفر وتصنيفها تحت موضوعات أساسية عددها محدود ، حتى نستطيع العثور بسهولة على جميع الآيات المتعلقة بنفس الموضوع ، وبعد ذلك ، نجمع كل الآيات المتشابهة والمجملة ، أو التي تعارض بعضها البعض ، وأعني بالآية المبينة أو المجملة سهولة أو صعوبة فهم المعنى من السياق لا سهولة أو صعوبة المعنى بالعقل ، إذ أن ما يعنينا هنا هو معاني النصوص لا حقيقتها ، بل إنه يجب أولاً وقبل كل شئ في بحثنا عن معنى الكتاب (*) الحرص على ألا ينشغل ذهننا باستدلالات قائمة على مبادئ المعرفة الفطرية (فضلاً عن الأحكام المسبقة) ، ولكيلا لا نخلط بين معنى الكلام مع حقيقة الأشياء ، يجب أن نحرص على العثور على المعنى معتمدين في ذلك فحسب على أستعمال اللغة أو على استدلالات مبنية على الكتاب وحده " [١].

من خلال هذا النص نجد سبينوزا قد رأى تحويل الكتاب المقدس إلى معجم مفهرس حتى يسهل أستعمال النصوص حسب الموضوع . كما يمكن تبويب النصوص حسب الوضوح والغموض ، فتوضع النصوص الواضحة معاً والمتشابهة معاً . ويعني الوضوح هنا فهم النص حسب السياق ، ليس حسب العقل ، لأن مهمة التفسير فهم النص لا معرفة الحقيقة . كما لا ينبغي الخلط بين فهم النص وحقيقة الأشياء ، علينا فقط الاعتماد على اللغة العبرية أو على الاستدلالات المبنية على الكتاب وحده .

الخطوة الثالثة :

(*) الكتاب : اصطلاح يستخدم للإشارة إلى العهد القديم ، أو إلى التوراة . بالمعنى المحدود للكلمة . انظر: د / عبد الوهاب المسيري : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ج٥ ، ص ٨٨ .

(١) سبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص ٢٤٤ .

معرفة الظروف والملابسات التي كتبت فيها الرواية ، يقول سبينوزا : " يجب أن يربط هذا الفحص التاريخي كتب الأنبياء بجميع الملابسات الخاصة التي حفظتها لنا الذاكرة ، أعني سيرة مؤلف كل كتاب ، وأخلاقه ، والغاية التي كان يرمي إليها ، ومن هو ، وفي أي مناسبة كتب كتابه ، وفي أي وقت ، ولمن ، وبأية لغة كتبه ، كما يجب أن يقدم هذا الفحص الظروف الخاصة بكل كتاب على حده . كيف جمع أولاً ، وما الأيدي التي تناولته ، وكم نسخة مختلفة معروفة عن النص ، ومن الذين قرروا ادراجه في الكتاب المقدس ، وأخيراً كيف جمعت جميع الكتب المقننة في مجموعة واحدة "[١] .

من خلال هذا النص نجد سبينوزا قد نبه إلى ضرورة معرفة مؤلف السفر ، وتقاليده ، وأخلاقه ، والغاية من السفر ، ومناسبته ، وعصره ، ولغته ، ثم مصير السفر نفسه ، وجمعه ، ونقله ، ونسخه ، والاختلافات بين النسخ ، وتقنيتها ، وتحليلها ، حتى يمكن التفرقة بين نصوص التشريع ونصوص الأخلاق ، وحتى نستطيع التعرف على موهبة المؤلف الأدبية ، وحتى لا نخلط بين التعاليم الوقتية والتعاليم الأزلية ، وكل ذلك حتى يمكننا تحديد درجة سلطته ، والوثوق به .

ويرى سبينوزا أنه بعد القيام بهذه الخطوات الثلاث من الفحص التاريخي نبدأ في دراسة فكر الأنبياء والروح القدس ، يقول سبينوزا : " وبعد أن ننتهي من هذا الفحص للكتاب ، ونأخذ قراراً حاسماً بألا نسلم بشئ لا يخضع لهذا الفحص أو لا يستخلص منه بوضوح تام ، على أنه عقيدة مؤكدة للأنبياء ، عندئذ يحين وقت العكوف على دراسة فكر الأنبياء والروح القدس" [٢] .

---

(١) سبينوزا : المصدر السابق ، ص ٢٤٦ .

(٢) سبينوزا : المصدر السابق ، ص ٢٤٦ – ص ٢٤٧ .

ويعتقد سبينوزا أن منهجه القائم على ضرورة معرفة الكتاب المقدس من الكتاب ذاته هو المنهج الوحيد والصحيح في الفحص التاريخي للكتاب المقدس ، فيقول : " منهجنا القائم على القاعدة التي تنص على أن معرفة الكتاب تستمد من الكتاب نفسه هو المنهج الوحيد والصحيح ، فلا نعلق أملاً على إمكان الاهتداء بأية وسيلة أخرى إلى ما لا يستطيع أن يعطينا إياه حتى نحصل على معرفة شاملة للكتاب " [١] .

وعلى الرغم من ذلك قد نبه سبينوزا على أن هذا المنهج يواجه بعض الصعوبات التي لا تعطينا معرفة شاملة ويقينية للكتاب المقدس .

وهذا ما سنوضحه فيما يلي :

ثانياً : الصعوبات التي تواجه تطبيق خطوات الفحص التاريخي للتوراة

ذكر سبينوزا بعض الصعوبات التي تواجه تطبيق خطوات الفحص التاريخي للتوراة – وسائر أسفار الكتاب المقدس – على النحو التالي :

١ – عدم المعرفة التامة باللغة العبرية ، يقول سبينوزا : " هناك صعوبة كبيرة تنشأ من أن هذا المنهج يتطلب معرفة تامة باللغة العبرية ، فأين لنا بهذه المعرفة ؟ لم يترك علماء اللغة العبرية القدماء للخلف أي شئ بشأن الأسس والمبادئ التي تقوم عليها هذه اللغة ، أو على أقل تقدير لا يوجد لدينا أي شئ تركوه لنا : فلا يوجد قاموس أو كتاب في النحو أو في الخطابة . لقد فقدت الأمة العبرية كل ما يشرف الأمة ويزينها (ولا عجب في ذلك بعد كل ما عانت من المحن والاضطهاد) إلا فتات من لغتها وأدبها . لقد ضاعت تقريباً جميع أسماء الفاكهة والطيور والأسماك وأسماء أخرى كثيرة على مر الزمان ، كما أن معاني كثيرة من الأسماء والأفعال التي نصادفها في التوراة ، أما مفقودة أو على الأقل مختلف عليها . فنحن إذاً نفتقر إلى هذه المعاني ، كما

---

(١) سبينوزا : المصدر السابق ، ص ٢٥١ .

نفتقر بدرجة أشد ، إلى معرفة التراكيب الخاصة في هذه اللغة ، فقد محا الزمان ، الذي يلتهم كل شئ ، كل العبارات والأساليب الخاصة في هذه اللغة التي أستعملها العبرانيون تقريباً من ذاكرة الناس . فلن نستطيع إذاً أن نبحث لكل نص ، كما نود ، عن جميع المعاني المقبولة وفقاً للأستعمال الجاري في هذه اللغة ، وسنجد نصوصاً كثيرة تتضمن كلمات معروفة تماماً ولكن معناها غامض للغاية ، لا يمكن أدراكه على الاطلاق . وفضلاً عن أننا لا نستطيع أن نحصل على معرفة تامة بالعبرية . فهناك تكوين هذه اللغة نفسه وطبيعتها : إذ يوجد فيها من المتشابهات الكثيرة ما يستحيل معه العثور على منهج يسمح لنا بأن نحدد عن يقين معاني جميع نصوص الكتاب"[١] .

٢ – عدم معرفتنا – في أغلب الأحيان – بالظروف الخاصة لكل أسفار الكتاب المقدس ، كما أننا نجهل أغلب مؤلفيها الحقيقيين ، يقول سبينوزا : " هناك صعوبة أخرى في هذا المنهج تأتي من أنه يتطلب المعرفة التاريخية للظروف الخاصة لكل أسفار الكتاب ، وهي معرفة لا تتوافر لدينا في معظم الأحيان . والواقع أننا نجهل تماماً مؤلفي كثير من هذه الأسفار ، أو نجهل الأشخاص الذين كتبوها ، أو نشك فيهم . ومن ناحية أخرى لا ندري في أية مناسبة وفي أي زمان كتبت هذه الأسفار التي نجهل مؤلفيها الحقيقيين ، ولا نعلم في أيدي من وقعت ، وممن جاءت المخطوطات الأصلية التي وجد لها عدد من النسخ المتباينة ، ولا نعلم أخيراً إن كانت هناك نسخ كثيرة أخرى في مخطوطات من مصدر آخر " [٢] .

---

(١) سبينوزا : المصدر السابق ، ص ٢٥١ ، ص ٢٥٢ .

(٢) سبينوزا : المصدر السابق ، ص ٢٥٥ .

٣ – عدم العثور على الأسفار المقدسة في لغتها الأصلية ، يقول سبينوزا : " وهناك صعوبة أخيرة نجدها في تفسير أسفار الكتاب وفقاً لهذا المنهج ، وهي أننا لا نملك هذه الأسفار في لغتها الأصلية ، أي في لغة كاتبها " [١] .

مما سبق نجد أن سبينوزا قد أرجع الصعوبات السابقة التي تواجه تطبيق خطوات الفحص التاريخي للتوراة وسائر أسفار الكتاب المقدس إلى سبب فقدان الأمة العبرية كل ما يشرفها والتي من أهمها فقدانهم للأسفار المقدسة في لغتها الأصلية ، الأمر الذي حال بيننا وبين معرفة الظروف الخاصة بكل سفر في أغلب الأحيان .

وعلى الرغم من ذلك فإن سبينوزا يرى أن الصعوبات السابقة تمنعنا من فهم فكر الأنبياء فيما يتعلق بالأشياء غير القابلة للإدراك ، دون الأشياء التي نستطيع أدراكها بالذهن ، فيقول : " إن كل ما يمكن أن تؤدي إليه هذه الصعوبات هو أن تمنعنا من فهم فكر الأنبياء فيما يتعلق بالأشياء غير القابلة للإدراك ، والتي لا نستطيع إلا تخيلها . أما الأشياء التي نستطيع أدراكها بالذهن ، والتي نستطيع بسهولة أن نكون عنها تصوراً فأمرها مختلف ؛ إذ أن الأشياء التي يسهل أدراكها بطبيعتها ، و لا يمكن أن يبلغ التعبير عنها من الغموض حداً لا يعود من السهل معه فهمها ، وذلك طبقاً للمثل القائل : كلمة واحدة تكفي لمن يفهم ... ننتهي من ذلك إذاً إلى أننا نستطيع بسهولة تامة بما يمكننا التوصل إليه من معرفة تاريخية بالكتاب ، أن ندرك فكر الكتاب فيما يتعلق بالتعاليم الخلقية ، وأننا في هذه الحالة نستطيع أن نعرف معناها عن يقين ؛ إذ يتم التعبير عن التعاليم المتعلقة بالتقوى الحقة بأكثر الكلمات

---

(١) سبينوزا : المصدر السابق ، ص ٢٥٦ .

تداولاً ، لأنها شائعة للغاية بين الناس ، ولأنها يسيرة جداً ويسهل فهمها " [١].

وعلى العموم فقد قصد سبينوزا من تفسير الكتاب المقدس معرفة ماذا قال مؤلفوا أسفاره، ولمعرفة ذلك يجب تطبيق المنهج النقدي على حد قول المحدثين ، وبذلك يعد سبينوزا من أوائل واضعي هذا المنهج – في العصر الحديث – الذي يرمي إلى مقارنة النصوص بعضها بالبعض الآخر ، ومعرفة ظروف تدوينها ، واللغة التي كتبت بها ، وبذلك يقوم منهج سبينوزا على الفحص التاريخي اللغوي لا على الفحص الفلسفي أو العلمي .

---

(١) سبينوزا : المصدر السابق ، ص ٢٥٧ ، ص ٢٥٨ .

المبحث االثانى
نقد سبينوزا
لنسبة االتوراة إلى موسى عليه السلام

تمهيد :

اعتقد اليهود نسبة التوراة إلى موسى عليـه السـلام ، واعتبـاره هو مؤلفهـا منذ عهد فيلون السكندرى (*) ويوسيفوس اللذين عاصرا المسيح وأعلنـا أن موسى هو مؤلف التوراة وأخذ يدافعان عن ذلك الاعتقاد. (١)

ولقد أيد الفريسيون(*) أيضاً هذا الاعتقاد وأصروا عليه ، يقول سبينوزا : " لقد ظن الجميع تقريباً أن من قام بتدوين الأسفار الخمسة هو موسى ، بل

(*) هو : فيلون السكندري (٢٠ ق . م – ٤٠ م) أكبر ممثل للفكر اليهودي المثقف باليونانية في عصره ، من مواليد الإسكندرية ، وبها عاش وتعلم ، ودراسته يونانية كلها . راجع : د / عبد المنعم الحفنى : موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية، مكتبة مدبولى ،١٩٩٤م ، ص١٦٤. وموسوعة الفلسفة والفلاسفة ، مكتبة مدبولى ، الطبعة الثالثة ، ٢٠١٠م ، ج ٢ ، ص ١٠٦٠ .

(١) انظر : د/ فؤاد حسنين علي : التوراة الهيروغليفية ، ص ٤٠. ومقدمة العهد العتيق من الكتاب المقدس ، طبعة الأساقفة الكاثوليك ، منشورات دار المشرق ، بيروت ، ١٩٨٦ م ، ص ٣ . و د / فتحي محمد الزغبي : تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ، ص ٣٢٨ .

(*)الفريس : كلمة آرامية من " فرس " أي صار ذا رأي وعلم بالأمور فهو " فارس " أي عالم بالأمر ، وهم فوارس ، وقيل من " فرس " بمعنى " أنفصل واعتزل " وهم الفوارس بمعنى المعتزلة ، لأنهم فارقوا الجماعة ولم يكونوا على رأس جمهور أحبار اليهود . وكانوا يلقبون أيضاً بلقب " جيريم " أي الرفاق أو الزملاء .

انظر : د / عبد المنعم الحفني : موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية ص ١٦٠ . و د / عبد الوهاب المسيري : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، ج٥ ، ص ٣٢١ ، ص٣٢٢ .

أن الفريسيين أيدوا هذا الرأى بإصرار شديد ، حتى أنهم عدوا من يظن خلاف ذلك من المارقين" [١].

ولقد انتقد سبينوزا هذا الاعتقاد متأثراً بإبراهيم بن عزرا (**) فحلل أسفار التوراة مبيناً نصيب كل منها من الصحة التاريخية ومؤكداً أن موسى لم يكتب التوراة وإنما كتبها شخص آخر عاش بعد موسى بمدة طويلة ، وأن موسى كتب سفراً مختلفاً ، فيقول :" ابن عزرا لم يجرؤ على الإفصاح عن رأيه صراحة واكتفى بالإشارة إليه بألفاظ مبهمة . أما أنا فلن أخشى توضيحها وأظهار الحق ناصعاً . هذه هى أقوال ابن عزرا فى شرحه على (التثنية) : فيما وراء نهر الأردن .. الخ . لو كنت تعرف سر الأثنتى عشرة .. كتب موسى شريعته أيضاً .. وكان الكنعانى على الأرض .. سيوحى به على جبل الله .. ها هو ذا سريره ، سرير من حديد ، حينئذ تعرف الحقيقة . بهذه الكلمات القليلة يبين ، ويثبت فى الوقت ذاته ، أن موسى ليس هو مؤلف الأسفار الخمسة بل أن

---

(١) سبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص ٢٦٦ .

(**) هو : إبراهيم بن عزرا شخصية فذة أبدعها المجتمع الأندلسي ، ولد عام ١٠٩٢ م ، وقيل عام ١٠٨٩ م ، نشأ في طليطلة ، ثم انطلق منها وتعرف على علماء العصر في كل مكان مسهماً بنصيب في شتى العلوم والفنون واستقر بعض الوقت في روما حيث عكف على كتابة التفاسير الدينية ثم وضع كتباً ربما هي أول ما ألف باللغة العبرية عن النحو العبري تميزت بابتكار ودقة ضبط عن المراجع التي اعتمد عليها وهي الدراسات التي كان ألفها بالعربية بعض بني ملته مهتدين بالكتب الأصول في النحو العربي وتوفي عام ١١٦٤ م . راجع د / عبد المنعم الحفني : الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، القاهرة ، ١٩٨٠ م ، ص ٣٣ ، ص ٣٤ . وموسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية ، ص ٣٦ ، ص ٣٧.

مؤلفها شخص آخر عاش بعده بزمن طويل ، وأن موسى كتب سفراً مختلفاً" [١] .

وشرح سبينوزا أدلة ابن عزرا شرحاً وافياً ، والتى يمكن تلخيصها فيما يلى :

أ- لم يكتب موسى مقدمة سفر التثنية لأنه لم يعبر نهر الأردن . [٢]

ب- كان سفر موسى مكتوباً على حائط المعبد الذى لم يتجاوز أثنى عشر حجراً ، أى أن السفر كان أصغر بكثير مما لدينا الآن . [٣]

---

(١) سبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص ٢٦٦.

(٢) سفر التثنية ١ :٥ " هذَا هُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي كَلَّمَ بِهِ مُوسَى جَمِيعَ إِسْرَائِيلَ، فِي عَبْرِ الأُرْدُنِّ، فِي الْبَرِّيَّةِ فِي الْعَرَبَةِ، قُبَالَةَ سُوفَ، بَيْنَ فَارَانَ وَتُوفَلَ وَلاَبَانَ وَحَضَيْرُوتَ وَذِي ذَهَبٍ. أَحَدَ عَشَرَ يَوْمًا مِنْ حُورِيبَ عَلَى طَرِيقِ جَبَلِ سِعِيرَ إِلَى قَادَشَ بَرْنِيعَ. فَفِي السَّنَةِ الأَرْبَعِينَ، فِي الشَّهْرِ الْحَادِي عَشَرَ فِي الأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ، كَلَّمَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَسَبَ كُلِّ مَا أَوْصَاهُ الرَّبُّ إِلَيْهِمْ. بَعْدَ مَا ضَرَبَ سِيحُونَ مَلِكَ الأَمُورِيِّينَ السَّاكِنَ فِي حَشْبُونَ، وَعُوجَ مَلِكَ بَاشَانَ السَّاكِنَ فِي عَشْتَارُوثَ فِي إِذْرَعِي. فِي عَبْرِ الأُرْدُنِّ، فِي أَرْضِ مُوآبَ، ابْتَدَأَ مُوسَى يَشْرَحُ هذِهِ الشَّرِيعَةَ ".

(٣) سفر التثنية٢٧: ٢-٨" فَيَوْمَ تَعْبُرُونَ الأُرْدُنَّ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، تُقِيمُ لِنَفْسِكَ حِجَارَةً كَبِيرَةً وَتَشِيدُهَا بِالشِّيدِ، وَتَكْتُبُ عَلَيْهَا جَمِيعَ كَلِمَاتِ هذَا النَّامُوسِ، حِينَ تَعْبُرُ لِكَيْ تَدْخُلَ الأَرْضَ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ، أَرْضًا تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً، كَمَا قَالَ لَكَ الرَّبُّ إِلهُ آبَائِكَ. حِينَ تَعْبُرُونَ الأُرْدُنَّ، تُقِيمُونَ هذِهِ الْحِجَارَةَ الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ فِي جَبَلِ عِيبَالَ، وَتُكَلِّسُهَا بِالْكِلْسِ. وَتَبْنِي هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ إِلهِكَ، مَذْبَحًا مِنْ حِجَارَةٍ لاَ تَرْفَعْ عَلَيْهَا حَدِيدًا. مِنْ حِجَارَةٍ صَحِيحَةٍ تَبْنِي مَذْبَحَ الرَّبِّ إِلهِكَ، وَتُصْعِدُ عَلَيْهِ مُحْرَقَاتٍ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. وَتَذْبَحُ ذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ، وَتَأْكُلُ هُنَاكَ وَتَفْرَحُ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكَ. وَتَكْتُبُ عَلَى الْحِجَارَةِ جَمِيعَ كَلِمَاتِ هذَا النَّامُوسِ نَقْشًا جَيِّدًا "، سفر يشوع ٨: ٣٢ " وَكَتَبَ هُنَاكَ عَلَى الْحِجَارَةِ نُسْخَةَ تَوْرَاةِ مُوسَى الَّتِي كَتَبَهَا أَمَامَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ".

ج- ورد فى التثنية : " وَكَتَبَ مُوسَى هذِهِ التَّوْرَاةَ "[١] ويستحيل أن يكون موسى قد قال ذلك ، بل لابد أن يكون قائلها كاتباً آخر يروى أقوال موسى وأعماله .

د- فى سفر التكوين يعلق الكاتب قائلاً : " وَكَانَ الْكَنْعَانِيُّونَ حِينَئِذٍ فِي الأَرْضِ " [٢] ، مما يدل على أن الوضع قد تغير وقت تدوين الكاتب هذا السفر ، أى بعد موت موسى وطرد الكنعانيين . وبذلك لا يكون موسى هو الراوى .

هـ- فى سفر التكوين سمى جبل موريا " جَبَلِ الرَّبِّ" [٣] ولم يسم بهذا الاسم إلا بعد بناء المعبد . وهو ما تم بعد عصر موسى .

و- فى سفر التثنية وضعت بعض الكلمات فى الرواية الخاصة بعوج ملك باشان ، توحى بأن الرواية كتبت بعد موت موسى بمدة طويلة ، إذ يروى المؤلف أشياء حدثت منذ زمن بعيد . [٤]

وبعد أن أنتهى سبينوزا من شرح أدلة ابن عزرا السابقة على أن موسى لم يكتب التوراة ، وإنما كتبها إنسان آخر عاش بعده بمدة طويلة ، رأى سبينوزا أن ابن عزرا قد فاته أن يذكر أهم الأدلة وأكثرها خطورة .

فما أدلة سبينوزا على عدم نسبة التوراة إلى موسى عليه السلام ؟
هذا ماسنجيب عليه من خلال العنصر الآتى :

أدلة سبينوزا على عدم نسبة التوراة إلى موسى عليه السلام

---

(١) سفر التثنية ٣١ : ٩ .

(٢) سفر التكوين ١٢ : ٦.

(٣) سفر التكوين ٢٢ : ١٤ .

(٤) انظر : سبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص ٢٦٦ – ص٢٨٦ .

استدل سبينوزا على أن موسى لم يكتب التوراة ؛ وإنما كتبها إنسان آخر عاش بعده بمدة طويلة ، بالأدلة الآتية :

الدليل الأول

لا يتحدث الكتاب عن موسى بضمير الغائب فحسب وإنما يعطى عنه شهادات عديدة مثل : تحدث الله مع موسى ، كان الله مع موسى وجهاً لوجه ، وَأَمَّا الرَّجُلُ مُوسَى فَكَانَ حَلِيمًا جِدًّا أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ [١] ، فَسَخَطَ مُوسَى عَلَى وُكَلاَءِ الْجَيْشِ [٢] ، مُوسَى رَجُلُ اللهِ [٣]، فَمَاتَ هُنَاكَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ [٤]، وَلَمْ يَقُمْ بَعْدُ نَبِيٌّ فِي إِسْرَائِيلَ مِثْلُ مُوسَى [٥]. وعلى العكس يتحدث موسى ويقص أفعاله بضمير المتكلم فى التثنية التى كتبت فيها الشريعة التى شرحها موسى للشعب والتى كتبها بنفسه ، فيقول : كَلَّمَنِي الرَّبُّ .. ورجوت الرب.. الخ [٦] إلا فى آخر السفر حيث يستمر المؤرخ بعد أن نقل أقوال موسى ويحكى فى روايته كيف أعطى موسى الشعب هذه الشريعة (التى شرحها) كتابة ثم أعطاهم تحذيراً أخيراً ، وبعد ذلك أنتهت حياته كل ذلك ، أعنى طريقة الكلام والشواهد ومجموع نصوص القصة كلها يدعوا إلى الاعتقاد بأن موسى لم يكتب هذه الأسفار بل كتبها شخص آخر [٧].

---

(١) سفر العدد ١٢ : ٣ .

(٢) سفر العدد ٣١ : ١٤ .

(٣) سفر التثنية ٣٣ : ١ .

(٤) سفر التثنية ٣٤ : ٥ .

(٥) سفر التثنية ٣٤ : ١٠ .

(٦) سفر التثنية ٢: ١ ، ١٧ .

(٧) سبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص ٢٦٩ .

ويلاحظ أن هذا الدليل قد ذكره من قبل الإمام القرافى (*) وغيره من أئمة المسلمين الذين تعرضوا لنقد التوراة التى بأيدى اليهود والنصارى ، يقول الإمام القرافى : " قد تكرر فى التوراة وكلم الرب موسى وقال له أقبض حساب بنى إسرائيل . وكلم الرب موسى وقال كلم بنى إسرائيل . وهذه العبارة يقطع العاقل بأنها ليست من كلام الله تعالى . ولا من كلام موسى عليه السلام . بل هى حكايات من قول الغير لمعنى وقع . ولعل هذا الحاكى أخل باللفظ والمعنى . أو بالمعنى وحده . ولم يثبت عندنا عدالته ولا معرفته . بل لعله عدو للدين قصد الافساد والتبديل والتغيير " [(١)] .

الدليل الثانى

الرواية – التى فى آخر سفر التثنية – لاتقص فقط موت موسى ودفنه وحزن الأيام الثلاثين للعبرانيين ، بل تروى أيضاً أنه فاق جميع الأنبياء ، إذا

(*) هو: أحمد بن أدريس بن عبد الرحمن أبو العباس . الملقب بشهاب الدين ، الصنهاجي ، البهنسي ، القرافى . صاحب المصنفات في كثير من العلوم ، من مصنفاته : الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، وأدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ، وشرح كتاب الأربعين في أصول الدين للفخر الرازي ، ونفائس الأصول في شرح المحصول ، وغير ذلك ، توفي في جمادى الآخرة عام أربع وثمانين وستمائة ، ودفن بالقرافة بالقاهرة . راجع : حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤ م ، ج٥ ، ص ٨٣ ، ص٨٤ . ورضا كحالة : معجم المؤلفين ، مكتبة المثني ، بيروت ، ج١ ، ص ١٥٨. و خير الدين الزركلي : الأعلام ، دار العلم للملايين، الطبعة السابعة، بيروت ، ١٩٨٦ م ، ج١ ، ص ٩٤ ، ص٩٥ .

(١) الإمام شهاب الدين القرافى : الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، تحقيق د / بكر زكي عوض ، طبعة القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٦ م ، ص ٢٥٥ ، ص٢٥٦ . وانظر: الإمام القرطبي : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، تحقيق د / أحمد حجازي السقا ، دار التراث العربي ، القاهرة ، ج٢ ، ص ١٨٩ .

قورن بالأنبياء الذين عاشوا بعده " وَلَمْ يَقُمْ بَعْدُ نَبِيٌّ فِي إِسْرَائِيلَ مِثْلُ مُوسَى الَّذِي عَرَفَهُ الرَّبُّ وَجْهًا لِوَجْهٍ" (١) هذه شهادة لم يكن من الممكن أن يدلى بها موسى نفسه أو شخص آخر أتى بعده مباشرة ، بل شخص عاش بعده بقرون عديدة ، لا سيما أن المؤرخ قد استعمل صيغة الماضى : " وَلَمْ يَقُمْ بَعْدُ نَبِيٌّ فِي إِسْرَائِيلَ مِثْلُ مُوسَى "ويقول عن القبر : " وَلَمْ يَعْرِفْ إِنْسَانٌ قَبْرَهُ إِلَى هذَا الْيَوْمِ ".(٢)

ويلاحظ أن هذا الدليل أيضاً قد ذكره من قبل الإمام ابن حزم (*) ، وغيره من أئمة المسلمين الذين تعرضوا لنقد التوراة التى بأيدى اليهود والنصارى ، يقول الإمام ابن حزم : " فى آخر توراتهم فتوفى موسى عبدالله بذلك الموضع فى أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف آدمى موضع قبره إلى اليوم ... هذا الفصل شاهد عدل وبرهان تام ، ودليل قاطع ، وحجة صادقة فى أن

---

(١) سفر التثنية ٣٤ : ١٠ .

(٢) سبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص ٢٦٩ .

(*) هو: أبومحمد بن حزم على بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح الأموى القرطبى الظاهرى .كان حافظا عالما بعلوم الحديث ، مستنبطاً للأحكام من الكتاب والسنة ، وكان شافعى المذهب ثم أنتقل الى مذهب أهل الظاهر. له مصنفات كثيرة أشهرها " كتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل "، توفى سنة ست وخمسين وأربعمائة . راجع : شمس الدين الذهبى: سير أعلام النبلاء ، تحقيق/ محب الدين العمروى ، دار الفكر ، الطبعة الأولى، بيروت ، ١٩٩٧م ،ج١٣، ص ٥٤٠– ص ٥٥٤. وابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ج٣، ص ٢٩٩، ص ٣٠٠. وابن كثير: البداية والنهاية ، تحقيق د/أحمد أبوملحم ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٨٧م ، ج١٢، ص ٩٨. وحاجى خليفة : كشف الظنون ،ج٥، ص٥٥٣ ، ص٥٥٤. ورضا كحالة : معجم المؤلفين ،ج٧، ص١٦.

توراتهم مبدلة ، وأنها تاريخ مؤلف كتبه لهم من تخرّص بجهله ، أو تعمد بكفره ، وأنها غير منزلة من عند الله تعالى ، إذ لا يمكن أن يكون هذا الفصل منزلاً على موسى فى حياته ، فكان يكون إخباراً عنهما ، لم يكن بمساق ماقد كان ، وهذا هو محض الكذب تعالى الله عن ذلك . وقوله (لم يعرف قبره آدمى إلى اليوم) بيان لما ذكرنا كاف ، وأنه تاريخ ألف بعد دهر طويل ولابد " (١).

الدليل الثالث

أن بعض الأماكن لم تطلق عليها الأسماء التى عرفت بها فى زمن موسى بل أطلقت عليه أسماء عرفت بعده بوقت طويل . إذ يقال إن إبراهيم تابع أعداءة حتى دان " فَلَمَّا سَمِعَ أَبْرَامُ، أَنَّ أَخَاهُ سُبِيَ جَرَّ غِلْمَانَهُ الْمُتَمَرِّنِينَ، وِلْدَانَ بَيْتِهِ، ثَلاَثَ مِئَةٍ وَثَمَانِيَةَ عَشَرَ، وَتَبِعَهُمْ إِلَى دَانَ" (٢) ودان اسم لم تأخذه المدينة التى تحمله إلا بعد موت يشوع بمدة طويلة. (٣)

الدليل الرابع

تمتد الروايات فى بعض الأحيان إلى ما بعد موت موسى فيروى فى الخروج أن بنى إسرائيل أكلوا المن أربعين يوماً حتى وصلوا إلى أرض مسكونة

---

(١) الإمام ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ، بيروت، ١٩٩٦م ، ج١ ، ص ٢١٢ . وانظر : الإمام القرطبي : الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ، ج٢ ، ص ١٨٨ . و الإمام شهاب الدين القرافى : الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، ص ٢٥٤ ، ص٢٥٥ . والشيخ علاء الدين الباجي : على التوراة – في نقد التوراة اليونانية – تحقيق د /أحمد حجازي السقا ، دار الأنصار، الطبعة الأولى، القاهرة ، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م ، ص ١٤٨ ، ص١٤٩ .

(٢) سفر التكوين ١٤ : ١٤ .

(٣) سبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص ٢٦٩ ، ص ٢٧٠ .

على حدود بلاد كنعان " وَأَكَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْمَنَّ أَرْبَعِينَ سَنَةً حَتَّى جَاءُوا إِلَى أَرْضٍ عَامِرَةٍ. أَكَلُوا الْمَنَّ حَتَّى جَاءُوا إِلَى طَرَفِ أَرْضِ كَنْعَانَ" [١]، أى حتى اللحظة التى يتحدث عنها سفر يشوع : " وَانْقَطَعَ الْمَنُّ فِي الْغَدِ عِنْدَ أَكْلِهِمْ مِنْ غَلَّةِ الأَرْضِ، وَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مَنٌّ. فَأَكَلُوا مِنْ مَحْصُولِ أَرْضِ كَنْعَانَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ "[٢]، وكذلك يخبرنا سفر التكوين " وَهؤُلاَءِ هُمُ الْمُلُوكُ الَّذِينَ مَلَكُوا فِي أَرْضِ أَدُومَ، قَبْلَمَا مَلَكَ مَلِكٌ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ " [٣] ، ولاشك أن المؤرخ يتحدث عن الملوك الذين يحكمون الأدوميين قبل أن يخضعهم داود لحكمه ويصنع حاميات ضده فى أديما. [٤]

وينتهى سبينوزا إلى أنه من هذه الملاحظات كلها يبدو واضحاً وضوح النهار أن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة (التوراة) بل كتبها شخص عاش بعد موسى بقرون عديدة [٥]. وأنه لما كانت توجد نصوص كثيرة أخرى فى الأسفار الخمسة لا يمكن أن يكون موسى كاتبها فإن أحداً لا يستطيع أن يؤكد عن حق أن موسى هو مؤلف الأسفار الخمسة بل على العكس يكذب العقل هذه النسبة . [٦]

ولقد ذكر سبينوزا أن ابن عزرا لم يكن هو أول من تنبه إلى هذا الخطأ .[٧] والواقع أن ابن عزرا إنماكان مسبوقاً بالإمام ابن حزم الأندلسى ، وغيره من

---

(١) سفر الخروج ١٦ : ٣٥ .

(٢) سفر يشوع ٥ : ١٢ .

(٣) سفر التكوين ٣٦ : ٣١ .

(٤) سبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص ٢٧٠ .

(٥) سبينوزا :المصدر السابق ، ص ٢٧١ .

(٦) سبينوزا : المصدر السابق ، ص ٢٧٣ .

(٧) انظر: سبينوزا : المصدر السابق ، ص٢٦٦ .

أئمة المسلمين الذين تعرضوا لنقد التوراة التى بأيدى اليهود والنصارى . بل إن ابن عزرا نفسه لم يكن إلا جسراً عبرت عليه أفكار الإمام ابن حزم وآراؤه حتى وصلت إلى سبينوزا ، يقول الدكتور ياسر أبو شبانه : " إن سبينوزا قد أقتفى آثار الحبر اليهودى الأندلسى إبراهيم بن عزرا ، وأن ابن عزرا هذا والحبر اليهودى الآخر سليمان بن ميلخ المغربي ماكانا إلا جسراً عبرت عليه أفكار ابن حزم وآراؤه حتى وصلت إلى سبينوزا ، ومن خلاله إلى العلماء الغربيين الآخرين أصحاب الدراسات النقدية من أمثال : ريتشارد سايمون ، وجان أستروك ، وأيكهاون ، وغيرهم " [١].

من الذى كتب التوراة ؟

يتبادر إلى الذهن سؤال مؤداه : إذا كان سيدنا موسى عليه السلام لم يكتب الأسفار الخمسة (التوراة) ، أو لم يقم بتأليفها ، فمن الذى كتبها ؟ أومن هو جامعها ؟

فى الجواب على هذا التساؤل نجد سبينوزا قد ذهب إلى أن الأسفار الخمسة (التوراة) وما بعدها من أسفار يشوع ، والقضاة ، وصموئيل الأول والثاني ، والملوك الأول والثانى ، إذا نظرنا إلى تسلسلها وإلى محتواها نجد مؤرخ واحد هو الذى كتب هذه الأسفار حيث أراد أن يقص تاريخ اليهود القديم منذ نشأتهم الأولى حتى هدم المدينة لأول مرة بواسطة البابليين فى عام ٥٨٦ ق.م مع وقوع السبى البابلى ، يقول سبينوزا : " إذا نظرنا الآن إلى تسلسل هذه الأسفار كلها وإلى محتواها رأينا بسهولة أن الذى كتبها مؤرخ واحد أراد

---

(١) د / ياسر أبو شبانة : جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس ، من القرن الأول حتى القرن السابع الهجري ، عرض ونقد ، دار السحاب للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩ م ، ص ٨١٤ ، ص ٨١٥ .

أن يروى تاريخ اليهود القديم منذ نشأتهم الأولى حتى هدم المدينـة لأول مرة " [١].

ويرى سبينوزا أن طريقة تسلسل الأسفار الخمسة ، وما بعدها ، تكفى وحدها لإثبات أنها تضم رواية لمؤرخ واحد له غرض محدد ، يقول سبينوزا : " إن طريقة تسلسل هذه الأسفار تكفى وحدها لإثبات أنها تضم رواية لمؤرخ واحد . فبمجرد أنتهائه من قصة حياة موسى أنتقل مباشرة إلى قصة يشوع : (وَكَانَ بَعْدَ مَوْتِ مُوسَى عَبْدِ الرَّبِّ أَنَّ الرَّبَّ كَلَّمَ يَشُوعَ بْنِ نُونٍ خَادِمَ مُوسَى.. الخ) ، وبعد أن أنتهى من قصة موت يشوع أنتقل بنفس الطريقة إلى تاريخ القضاة وربطها بنفس الطريقة بما سبق (وَكَانَ بَعْدَ مَوْتِ يَشُوعَ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلُوا الرَّبَّ.. الخ) ثم ألحق سفر راعوث بوصفة تذييلاً لسفر القضاة بهذه الطريقة : (حَدَثَ فِي أَيَّامِ حُكْمِ الْقُضَاةِ أَنَّهُ صَارَ جُوعٌ فِي الأَرْضِ) ثم ربط بنفس الطريقة سفر صموئيل الأول بسفر راعوث ، وعندما أنتهى من هذا السفر الأول أنتقل إلى الثانى أيضاً بنفس الطريقة ، وأذاً فمجموع النصوص ، والترتيب الذى تتعاقب به الروايات يدل على أن كاتبها مؤرخ واحد له غرض محدد " [٢] ، ويقول أيضاً : " إذا أخذنا فى أعتبارنا هذه الخصال الثلاث : وحدة الغرض فى جميع هذه الأسفار ، وطريقة ربطها فيما بينها ، وتأليفها بعد الحوادث المروية بقرون عديدة ، نستنتج من ذلك أن مؤرخاً واحداً هو الذى كتبها " [٣].

وأما من هو هذا المؤرخ ؟ فإن سبينوزا لايستطيع أن يحدده بوضوح تام ، وإنما يرتاب فى أن يكون عزرا هو الذى كتب الأسفار الخمسة (التوراة)

---

(١) سبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص ٢٧٦ .

(٢) سبينوزا : المصدر السابق ، نفس الصفحة.

(٣) سبينوزا : المصدر السابق ، ص ٢٧٧ .

ومابعدها ، يقول سبينوزا : " أما من هو هذا المؤرخ ؟ فإنى لا أستطيع أن أحدده بوضوح ، ومع ذلك فإنى أرتاب فى أن يكون عزرا " [١].

وذكر سبينوزا الأسباب التى جعلته لا يستبعد أن يكون عزرا هو الذى كتب التوراة بقوله : " ويقوم أفتراضى هذا على أسباب وجيهة إلى حد بعيد . ذلك لأنه لما كان المؤرخ يمتد بروايته (ونحن نعلم من قبل أنها رواية وحيدة) حتى تحرير يواكين ، ويضيف – أى الراوى– أنه كان جالساً طيلة حياته على مائدة الملك (أى على مائدة يواكين أو مائدة نبوخذ نصر ، لأن المعنى غامض تماماً) فلا يمكن أن يكون الراوى سابقاً على عزرا . ولكن الكتاب لا يذكر أحد أزدهر فى ذلك الوقت . سوى شهادة الكتاب الوحيدة لعزرا ، الذى عكف بحماس بالغ على دراسة شريعة الله وعرضها ، وكان كاتباً ملماً كل الإلمام بشريعة موسى . وإذاً فنحن لا نجد شخصاً آخر سوى عزرا يمكن الاشتباه فى أن يكون مؤلف هذه الأسفار . ومن ناحية أخرى يشهد عزرا بأن عزرا لم يعكف بحماسة على دراسة شريعة الله فقط ، بل عكف أيضاً على عرضها . ويذكر نحيما أنهم – أى هؤلاء الرجال – (وَقَرَأُوا فِي السِّفْرِ، فِي شَرِيعَةِ اللهِ، بِبَيَانٍ، وَفَسَّرُوا الْمَعْنَى، وَأَفْهَمُوهُمُ الْقِرَاءَةَ) . [٢]على أن سفر التثنية لا يحتوى على شريعة موسى فحسب ، أو على أكبر جزء منه على أقل تقدير ، بل يتضمن أيضاً شروحاً كثيرة أضيفت إليه . لذلك ، أفترض أن سفر التثنية هذا هو سفر توراة الله الذى كتبه عزرا والذى يحتوى على عرض الشريعة وشرحها الذى قرأه هؤلاء الذين يتحدث عنهم نحيما " [٣].

---

(١) سبينوزا : المصدر السابق ، نفس الصفحة.

(٢) سفر نحيما ٨ : ٨ .

(٣) سبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص ٢٧٧ ، ص٢٧٨ .

ومما هو جدير بالذكر نجد الإمام ابن حزم قد نبه إلى هذه المسألة من قبل سبينوزا بقرون ، حيث نجده قد رأى أن عزرا هو الذى كتب التوراة وليس موسى عليه السلام ، فيقول : " أملاها عليهم من حفظه عزرا الوراق الهارونى وهم مقرون أنه وجدها عندهم وفيها خلل كثير فأصلحه ، وهذا يكفى ، وكان كتابة عزرا للتوراة بعد أزيد من سبعين سنة من خراب بيت المقدس ، وكتبهم تدل على أن عزرا لم يكتبها لهم ولم يصلحها إلا بعد نحو أربعين عاماً من رجوعهم إلى البيت بعد السبعين عاماً " (١). وقرر الإمام الجوينى (*) ذلك أيضاً بقوله : " وهذه النسخة كتبهاعزرا قبل بعثة المسيح عليه السلام بخمس مائة وأربعين سنة...أما عزرا – وإن رفعوا قدره – فناسخهامن نسخة ، فوقوع التبديل ممكن ، لحرصه على استمرار رياسته ، وعدم القول بعصمته ، لما نعلم له من الإقدام على فعل الصغائر والكبائر ... ورئاسة بنى إسرائيل كان شأنها عظيماً " (٢).

---

(١) الإمام ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج١ ، ص ٢٢٣ .

(*) هو: أبو المعالى عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجوينى ، المعروف بإمام الحرمين ، ولد بجوين سنة ٤١٩هـ، كان بارعاً فى علوم كثيرة ، من مصنفاته : الإرشاد ، والشامل ، ولمع الأدلة ، ومدارك العقول ، وغير ذلك، توفي سنة٤٧٨ هـ .

راجع : شمس الدين الذهبى : سير أعلام النبلاء ، ج ١٤ ، ص ١٦ ومابعدها . وابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص ٥٥ . وحاجى خليفة : كشف الظنون ، ج٥ ، ص ٥٠٤ . ورضا كحالة : معجم المؤلفين ، ج٦ ، ص ١٨٤. ص١٨٥ . وخير الدين الزركلي : الأعلام ، ج٤ ، ص ١٦٠ .

(٢) الإمام الجوينى : شفاء الغليل فى بيان ما وقع فى التوراة والإنجيل من التبديل ، تحقيق د/ أحمد حجازى السقا، طبعة الرئاسة العامة للبحوث العلمية ، الرياض ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ، ص٣٠ –٣٢ .

وينبغى أن لايفوتنا فى هذا الشأن ما ذكره الإمام المهتدى السموأل بن يحيى المغربى (*) بقوله : " لم يكن حفظ التوراة فرضاً ولا سنة ، بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلاً من التوراة . فلما رأى عزرا أن القوم قد أحرق هيكلهم ، وزالت دولتهم ، وتفرق جمعهم ، ورفع كتابهم ، جمع من محفوظاته ومن الفصول التى يحفظها الكهنة مالفق منه هذه التوراة التى فى أيديهم . ولذلك بالغوا فى تعظيم عزرا هذا غاية المبالغة . وزعموا أن النور إلى الآن يظهر على قبره الذى عند البطائح بالعراق ، لأنه عمل لهم كتاباً يحفظ لهم دينهم . فهذه التوراة التى فى أيديهم على الحقيقة كتاب عزرا وليست كتاب الله " [1].

هذا ولقد استدل الإمام القرافى ، والإمام ابن القيم (**) على تبديل التوراة بواسطة عزرا

(*) هو: الحبر صموئيل بن يهوذا بن آبوان ، كان يهودياً ثم اهتدى إلى الإسلام وسمى بالإمام المهتدي : السموأل بن يحيى المغربي ، وألف كتاباً أسماه : " بذل المجهود في أفحام اليهود " ، توفي عام ٥٧٠ هـ .

راجع : د / عبد المنعم الحفني : موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية ، ص ١٣٢ . وموسوعة الفلسفة والفلاسفة ، ج ١، ص ٧٤٨ ، ٧٤٩ . وخير الدين الزركلي : الأعلام ، ج٣ ، ص ١٤٠ .

(١) السموأل بن يحيى : بذل المجهود في أفحام اليهود ، تقديم / عبد الوهاب طويلة ، دار القلم، الطبعة الأولى، دمشق ، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ ، ص ١٢٨ – ص١٣٤ .

(**) هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي ، الدمشقي ، الحنبلي ،المعروف بابن قيم الجوزية ٦٩١ – ٧٥١ هـ ، فقيه ، أصولي ، مجتهد ، مفسر، نحوي ، محدث ، مشارك في كثير من العلوم ، ولد بدمشق ، ولازم ابن تيمية ، وتوفي في ١٣ رجب ودفن في سفح قاسيون بدمشق ، وله تصانيف كثيرة منها : زاد المعاد ، وأعلام الموقعين ، واجتماع الجيوش ، وإغاثة اللهفان ، وله نظم ، وغير ذلك .

بنفس كلام الإمام المهتدى السموأل بن يحيى المغربى ، ولعلهما يكونا قد نقلاه بنصه . (١)

وهكذا وجدنا سبينوزا ، ومن قبله بعض أئمة المسلمين – الذين تعرضوا لنقد التوراة التى بأيدى اليهود والنصارى – يرون أن عزرا هو الذى قام بكتابة التوراة وجمعها من المصادر المختلفة والوثائق المتباينة .

لكنه لابد من الإشارة هنا إلى أمرين :

الأمر الأول :

أن عزرا لم يكن وحده وإنما كان معه طائفة من الكهنة يعملون تحت يده وهو يقوم بالإشراف عليهم والإرشاد .

الأمر الثانى :

أن التوراة فى صورتها الحالية قد اعتراها بعض الاضافات والتنقيحات بعد عزرا وأن هناك من جاء بعده وقام بإتمام وأكمال ما كان عزرا قد اعتزم عليه ولكن الأجل قد وافاه.

ولقد وضح سبينوزا ذلك بقوله : " إن عزرا (الذى أعده المؤلف الحقيقى ، طالما لم يبرهن لى أحد على مؤلف آخر ببرهان أكثر يقيناً) لم يكن آخر من

راجع : ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ج٦ ، ص ١٦٨ – ص ١٧٠ . وإسماعيل باشا البغدادي : هدية العارفين ، دار الفكر ، بيروت . ١٤٠٢ هـ ، ج٢ ، ص ١٥٨ – ص ١٥٩. ورضا كحالة : معجم المؤلفين ، ج٩ ، ص ١٠٦ ، ص ١٠٧. وخير الدين الزركلي : الأعلام ، ج٦ ، ص ٥٦ .

(١) انظر : الإمام شهاب الدين القرافى : الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، ص ٢٣٧ – ص ٢٣٩.و الإمام ابن القيم : إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، تحقيق / محمد الأنور أحمد البلتاجي ، دار التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ، القاهرة، ١٤٠٣ هـ ، ج٢ ، ص ٢٨٥ ، ص ٢٥٦ .

صاغ الروايات المتضمنة فى هذه الأسفار ، وأنه لم يفعل أكثر من أنه جمع روايات موجودة عند كتاب متعددين ، وفى بعض الأحيان كان يقتصر على نسخها ، ونقلها على هذا النحو إلى الخلف دون فحصها أو ترتيبها ، ولا أستطيع أن أخمن الأسباب التى منعته من إتمام عمله هذا بحيث يوليه كل عنايته (إلا إذا كان موتاً مبكراً) . ولكن على الرغم من فقدان مؤلفات المؤرخين القدماء ، فإن العدد القليل جداً من الشذرات المتبقية لدينا يثبت هذه الحقيقة بوضوح تام "[١].

وعلى العموم فقد ذهب سبينوزا إلى عدم نسبة الأسفار الخمسة (التوراة) إلى موسى عليه السلام لقيام هذه الدعوى على الظن والزعم بلا دليل ، فموسى لم يكتبها وإنما كتبها عزرا الذى جاء بعد موسى بزمن طويل والذى لم يكن هو أيضاً آخر من صاغ روايتها .

فلو كان موسى هو الذى كتب التوراة لما تحدث عن نفسه بضمير الغائب ، وموسى لم يكتب سفر التثنية لأنه لم يعبر نهر الأردن ، وبعض الأماكن سميت بأسماء مختلفة عما كانت عليه فى عصر موسى ، والرواية مستمرة فى الزمان حتى بعد موت موسى ، وكان سفر موسى مكتوباً على حائط المعبد الذى لم يتجاوز أثنى عشر حجراً ، أى أن السفر كان أصغر بكثير مما لدينا الآن . وكان موسى يقرأ سفر العهد على الشعب وهو السفر الذى أملاه الله عليه فى جلسة قصيرة مما يدل على أن ماكتبه موسى أقل بكثير مما لدينا الآن .

وسبينوزا لم يبين أحكامه هذه على استنتاجات العقل من مصادر خارج نصوص التوراة ذاتها أوعلى الأحكام السابقة عنها ، وإنما بنى أحكامه على ملاحظاته المرتكزة على قراءة هذه الأسفار وفحصها فحصاً دقيقاً ، أى أن نص

---

(١) سبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص ٢٨٣ .

هذه الأسفار– بما احتوى عليه – يتضمن هذه النتيجة الحاسمة التي قطع بها سبينوزا ومن قبله الحبر اليهودى ابن عزرا .

المبحث الثالث

نقد سبينوزا لحفظ التوراة من الضياع والتحريف

تمهيد :

يفترض معظم اليهود ابتداء صحة العهد القديم ومصدره الإلهى [١] ، ولا يسلم معظم المفسرين اليهود بوقوع أى تحريف فى النص ، ويقرون أن الله بعناية فريدة ، قد حفظ التوراة من أى ضياع . [٢]

ولم يوافق سبينوزا معظم المفسرين اليهود فى القول بحفظ التوراة من الضياع والتحريف ، وقرر أن التوراة قد فقدت ثم ظهرت على يد الكاهن عزرا وبها العديد من التغييرات والاختلافات وأننا لانملك منها إلا شذرات ، فيقول : " إن كلام الله مزيف ومنقوص ومحرف ، وأننا لا نملك منه إلا شذرات ، وأن الميثاق الذي يشهد بعقد الله عهداً مع اليهود قد فقد" [٣].

كما يرى سبينوزا أن الخلف لم يحفظ التوراة بعناية بحيث لا تتسرب إليها أية أخطاء[٤] . ومن الأخطاء التى ركز عليها سبينوزا الخلط فى الأزمنة ، وأختلاف حساب السنين . واعتمد في ذلك على منهجه القائم على القاعدة التى تنص على أن معرفة الكتاب تستمد من الكتاب نفسه .

وهذا ما سنوضحه من خلال العنصرين الآتيين :

أولاً : عدم حفظ التوراة من الضياع

ذكر سبينوزا أننا أذا أردنا أن نبحث بمزيد من الدقة فى الأسفار التى كتبها موسى نفسه والمذكورة فى الأسفار الخمسة فسنجد من الثابت أولاً فى سفر

---

(١) سبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص ١١٦ .

(٢) سبينوزا : المصدر السابق ، ص ٢٩٩ .

(٣) سبينوزا : المصدر السابق ، ص ٣٣٧ .

(٤) سبينوزا : المصدر السابق ، ص ٢٩٨ .

الخروج أن موسى كتب بأمر الله عن الحرب ضد عماليق [(١)] ، ولا يقول لنا هذا الاصحاح نفسه أى سفر كتب ، بل ترد فى سفر العدد إشارة إلى سفر يسمى حروب الرب. [(٢)]

كما جاء فى سفر الخروج أن هناك سفراً آخر يعرف باسم " سفر العهد " قرأه موسى أمام الإسرائيليين عندما عقدوا عهداً مع الله . [(٣)]

ولايحتوى هذا السفر أو هذه الرسالة إلا على أشياء قليلة أى أنه لايحتوى إلا على شرائع الله ووصياه الموجودة فى سفر الخروج فى الاصحاح ٢٠ فقرة ٢٢ حتى الاصحاح ٢٤.

ولا يمكن أن ينكر ذلك من يقرأ هذا الاصحاح المذكور بشئ من الفهم السليم دون تحيز ففيه يروى أنه بمجرد أن عرف رأى الشعب فى العهد المبرم مع الله كتب على التوراة كلمات الله ووصاياه ، ثم قرأ أمام المجمع العام للشعب شروط العهد فى الصباح بعد إقامة بعض الطقوس ، وبعد هذه القراءة دخل الشعب فى هذا العهد بمحض رضاه بعد أن عرف الناس كلهم بلاشك هذه الشروط . ونظراً إلى ضيق الوقت الذى استغرقته كتابة العهد المبرم ، وكذلك نظراً إلى طبيعة هذا العهد ، كان حتماً ألا يحتوى هذا السفر أكثر مما قلته الآن. [(٤)]

---

(١) سفر الخروج ١٧ : ١٤ " فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اكْتُبْ هذَا تَذْكَارًا فِي الْكِتَابِ، وَضَعْهُ فِي مَسَامِعِ يَشُوعَ. فَإِنِّي سَوْفَ أَمْحُو ذِكْرَ عَمَالِيقَ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ» " .

(٢) سفر العدد ٢١ : ١٤ " لِذلِكَ يُقَالُ فِي كِتَابِ «حُرُوبِ الرَّبِّ»: «وَاهِبٌ فِي سُوفَةَ وَأَوْدِيَةِ أَرْنُونَ »" .

(٣) سفر الخروج ٢٤ : ٨.

(٤) سبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص ٢٧١ .

وأيضاً فمن الثابت أن موسى قد شرح جميع الشرائع التى سنها فى السنة الأربعين بعد الخروج من مصر [١] ، وأخذ من الشعب وعداً جديداً بأن يظلوا خاضعين لهذه الشرائع.[٢]

ثم كتب سفراً يحتوى على هذه الشرائع التى تشرح هذا العهد الجديد [٣] ، وقد سمى هذا السفر سفر توراة الله وقد أضاف إليه يشوع بعد ذلك بمدة طويلة رواية العهد الذى قطعه الشعب على نفسه من جديد فى أيامه ، وهو ثالث عهد يقيمونه مع الله.[٤]

وينتهى سبينوزا إلى أنه لما لم يكن لدينا أى سفر يحتوى فى الوقت نفسه على عهد موسى وعهد يشوع فيجب أن نعترف ضرورة بأن السفر قد فقد . [٥] ويستنتج سبينوزا أن سفر توراة الله هذا الذى كتبه موسى لم يكن من الأسفار الخمسة بل كان سفراً مختلفاً ، أدخله مؤلف الأسفار الخمسة فى سفره فى المكان الذى أرتآه.

---

(١) سفر التثنية ١ : ٥ " فِي عَبْرِ الأُرْدُنِّ، فِي أَرْضِ مُوآبَ، ابْتَدَأَ مُوسَى يَشْرَحُ هذِهِ الشَّرِيعَةَ قَائِلاً " .

(٢) سفر التثنية ٢٩ : ١٤ " وَلَيْسَ مَعَكُمْ وَحْدَكُمْ أَقْطَعُ أَنَا هذَا الْعَهْدَ وَهذَا الْقَسَمَ " .

(٣) سفر التثنية ٣١ : ٩ " وَكَتَبَ مُوسَى هذِهِ التَّوْرَاةَ وَسَلَّمَهَا لِلْكَهَنَةِ بَنِي لاَوِي حَامِلِي تَابُوتِ عَهْدِ الرَّبِّ، وَلِجَمِيعِ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ " .

(٤) سفر يشوع ٢٤ : ٢٥ – ٢٦ " وَقَطَعَ يَشُوعُ عَهْدًا لِلشَّعْبِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، وَجَعَلَ لَهُمْ فَرِيضَةً وَحُكْمًا فِي شَكِيمَ. وَكَتَبَ يَشُوعُ هذَا الْكَلاَمَ فِي سِفْرِ شَرِيعَةِ اللهِ. وَأَخَذَ حَجَرًا كَبِيرًا وَنَصَبَهُ هُنَاكَ تَحْتَ الْبَلُّوطَةِ الَّتِي عِنْدَ مَقْدِسِ الرَّبِّ " .

(٥) سبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص ٢٧١ ، ص ٢٧٢ .

ويظهر ذلك بوضوح تام مما سبق ومما يروى فى سفر التثنية من أن موسى كتب سفر التوراة ثم أعطاه للأحبار وطلب إليهم قراءته أمام الشعب فى أوقات معلومة .

وهذا يدل على أن السفر كان أقل حجماً من الأسفار الخمسة ، إذا كان من الممكن قراءته كله فى مجمع عام بحيث يفهمه الجميع .

ولا ننسى أنه من بين جميع الأسفار التى كتبها موسى ، لم يأمر بالمحافظة دينياً إلا على سفر واحد وبالحرص على الإبقاء عليه وهو سفر العهد الثانى والنشيد (الذى كتبه بعد ذلك لكى يعلمه لجميع أفراد الشعب) فبالنسبة إلى العهد الأول كان الحاضرون وحدهم هم الملتزمين به ، وأما العهد الثانى فكان ملزماً للخلف [١] ، لذلك أمر بالمحافظة دينياً على سفر العهد الثانى للأجيال المقبلة ، وكذلك بالمحافظة على النشيد الذى يخص القرون التالية . [٢]

ويخلص سبينوزا إلى القول بأنه لم يكن من الثابت أن موسى قد كتب أسفاراً أخرى سوى هذه الأسفار ، ولم يوص بنفسه بالمحافظة دينياً للأجيال القادمة إلا على سفر التوراة الصغير والنشيد ، وأنه لما كانت توجد نصوص كثيرة فى الأسفار الخمسة لا يمكن أن يكون موسى كاتبها فإن أحداً لا يستطيع أن يؤكد عن حق ، أن موسى هو مؤلف الأسفار الخمسة ، بل على العكس يكذب العقل هذه النسبة. [٣]

---

(١) سفر التثنية ٢٩ : ١٤ – ١٥ " وَلَيْسَ مَعَكُمْ وَحْدَكُمْ أَقْطَعُ أَنَا هذَا الْعَهْدَ وَهذَا الْقَسَمَ، بَلْ مَعَ الَّذِي هُوَ هُنَا مَعَنَا وَاقِفًا الْيَوْمَ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِنَا، وَمَعَ الَّذِي لَيْسَ هُنَا مَعَنَا الْيَوْمَ " .

(٢) سبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص ٢٧٣ .

(٣) سبينوزا : المصدر السابق ، نفس الصفحة .

ولقد نبه سبينوزا إلى أن اليهود قد فقدوا تابوت العهد أيضاً بقوله : " وكثيراً مالحظت مدهشاً أن الكتاب لا يذكر شيئاً عن مصير تابوت العهد ، والأمر المؤكد أنه هدم أو حرق مع المعبد ، مع أنه كان أعظم المقدسات وأكثرها تبجيلاً لدى العبرانيين" [١].

ويرى سبينوزا أن الأسفار الخمسة (التوراة) سميت باسم موسى لأنها تدور أساساً حول حياته فأخذت الشخصية الرئيسية ، لا لأنه مؤلفها ، وإنما كتبها الكاهن عزرا الذى بدء بكتابة سفر التثنية وبعد أن أكمله شرع فى رواية الأمة العبرية ، ثم أدخل فى هذا التاريخ سفر التثنية فى موضعه ، يقول سبينوزا : " وفى رأيى أن سفر التثنية هو أول سفر من بين الأسفار التى قلت إنه كتبها ، ويقوم أفتراضى هذا على أساس أن هذا السفر يحتوى على قوانين الأمة التى يحتاج إليها الشعب خاصة ، وكذلك لأن هذا السفر لا يرتبط بسابقه ، كما هى الحال فى الأسفار الأخرى جميعاً ، بل يبدأ فجأة : هذه هى أقوال موسى ... الخ . وبعد أن أكمل هذا السفر وعلم الشرائع للشعب ، أعتقد أنه شرع فى رواية تاريخ الأمة العبرية كله منذ خلق العالم حتى التدمير الأعظم للمدينة ، ثم أدخل فى هذا التاريخ سفر التثنية فى موضعه . وربما كان سبب تسميته الأسفار الخمسة الأولى باسم موسى هو أنها تدور أساساً حول حياته ، فأخذت اسم الشخصية الرئيسية " [٢] .

لذلك فإن سبينوزا قد أفترض أن سفر التثنية هو سفر توراة الله الذى كتبه عزرا وشرحه ، يقول سبينوزا : " إن سفر التثنية لا يحتوى على شريعة موسى فحسب ، أو على أكبر جزء منه على أقل تقدير ، بل يتضمن أيضاً شروحاً كثيرة أضيفت إليه . لذلك أفترض أن سفر التثنية هذا هو سفر توراة الله الذى

---

(١) سبينوزا : المصدر السابق ، ص ٣٤٠ .

(٢) سبينوزا :المصدر السابق ، ص ٢٨١ .

كتبه عزرا والذى يحتوى على عرض الشريعة وشرحها الذين قرأه هؤلاء الرجال الذين يتحدث عنهم نحميا " [١].

وينبغى أن لا يفوتنا فى هذا الشأن ما ذكره – من قبل سبينوزا – السموأل بن يحيى المغربى عن أدلته من التوراة نفسها على فقدان اليهود للتوراة بقوله : " علماؤهم وأحبارهم يعلمون أن هذه التوراة والتى بأيديهم لا يعتقد أحد منهم أنها المنزلة على موسى البته لأن موسى عليه السلام صان التوراة عن بنى إسرائيل ، ولم يبثها فيهم ، وإنما سلمها إلى عشيرته أولاد لاوى . ودليل ذلك قول التوراة (ويختوب موشى آث هنود هزوت وتيناه الهكوهيم بنى ليوى) تفسيره (وكتب موسى هذه التوراة ، ودفعها إلى الأئمة بنى لاوى) وكان بنوهارون قضاة اليهود وحكامهم . لأن الإمامة وخدمة القرابين وبيت المقدس ، كانت موقوفة عليهم . ولم يبذل موسى من التوراة لبنى إسرائيل إلا نصف سورة يقال لها : (هاأزينو) فإن هذه السورة من التوراة هى التى علمها موسى لبنى إسرائيل وذلك قوله (ويختوب موشى آث هشيرا هزوت ويلمذاه لبنى يسرائيل) تفسيره (وكتب موسى هذه السورة ، وعلمها بنى إسرائيل) وأيضاً ، فإن الله قال لموسى عن هذه السورة (وها يثالى هشيرا هزت لعيد بنى يسرائيل) تفسيره (وتكون لى هذه السورة شاهداً على بنى إسرائيل) وأيضاً فإن الله قال لموسى عن هذه السورة (كى لو نشاخاخ مفى زرعوا)تفسيره (ولأن هذه السورة لا تنسى من أفواه أولادهم) يعنى أن هذه السورة مشتملة على ذم طباعهم ، وأنهم يخالفون شرائع التوراة ، وأن السخط يأتيهم بعد ذلك ، وتخرب ديارهم ، ويشتتون فى البلاد . قال : فهذه السورة تكون متداولة فى أفواههم كالشاهد عليهم والموفق لهم على صحة ما قيل لهم . فهذه السورة لما قال الله عنها : أنها لا تنسى من أفواه أولادهم ، دل

---

(١) سبينوزا : المصدر السابق ٢٧٨ .

ذلك على أن غيرها من السور تنسى . وأيضاً فإن هذا دليل على أن موسى عليه السلام لم يعطى بنى إسرائيل من التوراة إلا هذه السورة فأما بقية التوراة فدفعها إلى أولاد هارون ، وجعلها فيهم ، وصانها عن سواهم . وهؤلاء أئمة الهارنيون الذين كانوا يعرفون التوراة ، ويحفظون أكثرها قتلهم بختنصر على دم واحد يوم فتح بيت المقدس . ولم يكن حفظ التوراة فرضاً ولا سنة ، بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلاً من التوراة . فلما رأى عزرا أن القوم قد أحرق هيكلهم ، وزالت دولتهم ، وتفرق جمعهم ، ورفع كتابهم ، جمع من محفوظاته ومن الفصول التى يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التى فى أيديهم " [١].

ولقد استدل الإمام القرافى والإمام ابن القيم على فقدان اليهود للتوراة وعلى تبديلهم لها بنفس كلام السموأل بن يحيى المغربى ، ولعلهما يكونا قد نقلاه بنصه. [٢]

وعلى العموم لم يحافظ اليهود على توراتهم المقدسة المنزلة من عند الله تعالى ، ولا على تابوت العهد الذى يُعد أعظم المقدسات وأكثرها تبجيلاً عندهم . وبالجملة لقد فقدت الأمة اليهودية لكل ما يشرفها ويزينها .

---

(١) السموأل بن يحيى المغربي : بذل المجهود في أفحام اليهود ، ص ١٢٥ – ص ١٣٤ .

(٢) انظر : الإمام شهاب الدين القرافى : الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، ص ٢٣٧ ، ص ٢٣٨ . و الإمام ابن القيم : إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، ج٢ ، ص ٢٨٤ ، ص ٢٨٥ .

ثانياً : عدم حفظ التوراة من التحريف والاختلاف

لم يوافق سبينوزا معظم المفسرين اليهود فى القول بعدم وقوع أى تحريف فى نص التوراة ، بل يرى أن الكاهن عزرا قد أحدث تغييرات عديدة ، ولو كان لدينا سفر موسى لوضحت هذه الاختلافات ، يقول سبينوزا : " والحق إنه لوكان لدينا سفر موسى لوجدنا ، فيما أعتقد ، اختلافات كبيرة ؛ سواء فى التعبير عن الوصايا أم فى ترتيبها والبراهين عليها . والواقع أننى عندما أقارن الوصايا العشر وحدها فى التثنية بالوصايا العشر فى الخروج (وفيه تروى قصتها صراحة) أجد اختلافات من جميع النواحى . فالوصية الرابعة قد صيغت بطريقة مخالفة ، وليس هذا فحسب ، بل لقد كانت فى عباراتها أطول كثيراً . ويختلف السبب هنا كلية عن السبب الوارد فى (الخروج) . لذلك أعتقد ، أن عزرا هو الذى أجرى كل هذه التغييرات هنا وهناك لأنه شرح شريعة الله لمعاصريه" [١].

ولم يكتفى إذاً الكاهن عزرا ومن ساعده من الكهنة بجمع نصوص التوراة من المصادر المختلفة والوثائق المتباينة وإنما أضافوا إليها العديد من الاضافات .

كما يرى سبينوزا أن عزرا ومن ساعده من الكهنة قاموا بتكديس بعض الفقرات المبعثرة والتى عثروا عليها بدون فحص أو ترتيب مما أدى إلى الخلط فى الأزمنة ، وأختلاف السنين ، والتكرار المستمر لنفس القصص مع بعض التغييرات الخطيرة أحياناً .

---

(١) سبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص٢٧٩ – ص ٢٨١ .

ولا يقتصر هذا التكديس للنصوص بدون فحص على الأسفار الخمسة (التوراة) فحسب وإنما أشتمل أيضاً الأسفار السبعة الأخرى حتى هدم المدينة لأول مرة بواسطة البابليين فى عام ٥٨٦ ق . م . [١]

ولوضوح الخلط فى الأزمنة وأختلاف السنين بين نصوص الأسفار الخمسة (التوراة) يرى سبينوز إننا لسنا فى حاجة إلى البحث فى كل محتويات الأسفار الخمسة لإثبات وجود خلط فى الأزمنة وأختلاف السنين [٢] ، واكتفى بذكر مثالين فقط وذلك على النحو التالى:-

١- قصة يهوذا وثامار*

القصة التى تدور حول يهوذا وثامار ، والتى يبدؤها الراوى فى التكوين (الاصحاح ٣٨) هكذا : وكان فى ذلك الوقت أن يهوذا الفرد عن أخوته [٣] ، وواضح أن الوقت المذكور هنا يتعلق بوقت آخر تحدث عنه قبل ذلك ، وليس هو على وجه التحديد الوقت الذى تحدث عنه سفر التكوين قبل ذلك مباشرة ، فالواقع أنه منذ نزول يوسف مصر لأول مرة ، حتى ذهاب البطريق يعقوب مع جميع أفراد عائلته إلى هذا البلد نفسه ، لا نستطيع أن نعد أكثر من أثنتين

---

(١) انظر : سبينوزا : المصدر السابق ، ص ٢٨٨.

(٢) سبينوزا : المصدر السابق ، نفس الصفحة .

* قصة يهوذا وثامار مذكورة في الاصحاح ٣٨ من سفر التكوين ، ثامار هي زوجة ابن يهوذا ، وطبقاً لبعض المصادر اليهودية والتي تتحدث عن منشأ سبط يهوذا ، كانت ثامار زوجة عير وعندما توفي تزوجها أونان (طبقا لقانون زواج الأخ بزوجة أخيه المتوفي) ورفض أن ينجب منها فمات ، وكان ليهوذا ابن ثالث خشي عليه من زواجه من ثامار حتى لا يميته الرب فأبعد ثامار وأرسلها إلى أبيها ولكن ثامار أنتقمت لذلك فبعد أن توفيت زوجة يهوذا تنكرت ثامار في زي عاهر وذهبت إلى يهوذا فوقع عليها وأنجبت توأمين فارص – وهو من أجداد داود – وزارح .

(٣) سفر التكوين : ٣٨: ١ " وَحَدَثَ فِي ذلِكَ الزَّمَانِ أَنَّ يَهُوذَا نَزَلَ مِنْ عِنْدِ إِخْوَتِهِ " .

وعشرين سنة : فقد كان عمر يوسف سبعة عشر عاماً عندما باعه أخوته ، وكان عمره ثلاثين عاماً عندما أخرجه فرعون من السجن ، فإذا أضفنا إلى هذه السنين الثلاث عشرة سبع سنين من الرخاء وسنتين من المجاعة يكون المجموع أثنتين وعشرين سنة ، ومع ذلك لا يمكن أن يتصور أحد حدوث كل هذه الأشياء فى مثل هذا الوقت القصير : أعنى أن يصبح يهوذا أباً لثلاثة أطفال على التوالى من المرأة الوحيدة التى تزوجها . وأن يتزوج أكبر هؤلاء الثلاثة ثامار عند بلوغه سن الزواج ، وأن تتزوج ثامار من جديد بعد موت الابن الثانى ، وبعد موته هو الآخر ، أى بعد هاتين الزيجتين وهاتين الميتين . يعاشر يهوذا زوجة أبنائه ثامار دون أن يعرف من تكون ، ثم يولد له طفلان توأمان يصبح أحدهما أباً فى هذا الوقت القصير ذاته . ولما كان من المستحيل وقوع هذه الحوادث كلها فى الوقت القصير الذى يشير إليه " التكوين " وجب أرجاعها إلى وقت آخر سبق أن تحدث عنه سفر آخر . ومن ثم فلابد أن عزرا نقل هذه القصة بسهولة وأدخلها فى النص دون فحص . (١)

وينبغى أن لا يفوتنا فى هذا الشأن ما ذكره الإمام ابن حزم عند تعقيبه على هذه القصة وغيرها بقوله : " ما رأيت أجهل بالحساب من الذى عمل لهم التوراة وحاش لله أن يكون الخبر البارد الكاذب عن الله تعالى أو عن موسى عليه السلام ، ولا عن إنسان يعقل ما يقول ، ويستحى من تعمد الكذب الفاضح " (٢).

وبذلك يكون الإمام ابن حزم قد سجل من قبل سبينوزا بقرون على أن التوراة تتضمن أخطاء فى حساب السنين ، وأن هذه الأخطاء تعتبر من الأدلة

---

(١) سبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص ٢٨٦ .

(٢) الإمام ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج١ ، ص ١٧٤ .

القويـة علـى أن تلـك التـوراة الموجـودة بأيـدى اليهـود ليسـت هـى التـوراة التـى أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام .

ولقد ركز الإمام القرافى والشيخ علاء الدين الباجى (*) أيضاً على هذه القصة ولكنهما لم يبينا ما فيها من أخطاء فى حساب السنين ، وإنما بينا ما فيها من تناقض ينافى عصمة الأنبياء ، وذكر قبائح تصدر عن أولاد الأنبياء ، يقول الإمام القرافى : " فى التوراة إن يهوذا بن يعقوب عليه السلام . زنا بكنته ثامور ووهبها على ذلك خاتمه وعصاه وأنها حملت منه وصار شهرة فى بنى إسرائيل . مع أن فى التوراة أنه كان حظياً عند أبيه . ودعا له بتخليد الملك والنبوة فى عقبه . فلا نبوة يهوذا صانوه عن عدم الإجابة . بل أتبعوه بالعار والفضيحة . وذلك كله ينافيه ما للأنبياء – عليهم السلام – من العصمة بل ما وجب لهم من صون الله تعالى لهم فى جميع أحوالهم – وعلو هممهم – عما يوجب وصمهم واحتكارهم فى نفوس شيعهم وأممهم . وذلك دليل البديل والافتراء والكذب والبهتان على الله تعالى وعلى خاصته صلوات الله عليهم أجمعين " [١] ، ويقول الشيخ علاء الدين الباجى : " فكيف يحسن أن يقال : إن يهوذا زنا بكنته الأرملة : ثامار ، ولأنه لم يعرف أنها كنته ، بل

(*) هو: الشيخ الفقيه علي بن محمد بن عبد الرحمن بن خطاب علاء الدين الباجي الشافعي ، ٦٣١ – ٧١٤ هـ ، عالم بالأصول ، والمنطق ، والحساب ، من أهل مصر ، مغربي الأصل ، له كتب في الفرائض ، والحساب ، والرد على اليهود ، وأشهر كتبه " كشف الحقائق " في المنطق ، توفي بمصر . راجع : . ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، ج٣ ، ص ٣٤ . ورضا كحالة : معجم المؤلفين ، ج٧ ، ص ٢٠٨

(١) الإمام شهاب الدين القرافى : الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، ص ٢٥١ ، ص ٢٥٢ .

ظنها زانية ، أعطى خاتمه وعمامته وعصاه رهناً على جدى من غنمه ، وحبلت منه بتوأم ، وهما : فارص وزارح . وأنه أمر بحريقها ، حتى قالت : زنا بى من هذه عمامته وخاتمه وعصاه ؟ فإن هذا أقبح ما يحكى عن عاقل ، ما أنه فعله ، فضلاً عن أولاد الأنبياء"[١].

٢- قصة يعقوب ويوسف عليهما السلام

قصة يعقوب ويوسف ، التى ينبغى الأعتراف بأنها استخلصت ونقلت من عدد من المؤرخين بدليل وجود اختلافات بين أجزائها المتعددة . ففى الاصحاح ٤٧ يروى فى " التكوين " أن يعقوب عندما أتى به يوسف ليحيى فرعون لأول مرة كان عمره يومئذ مائة وثلاثين عاماً . [٢] فإذا طرحنا أثنين وعشرين عاماً قضاها حزناً على فقدانه يوسف ، وسبعة عشر عاماً عمر يوسف وقت بيعه ، وسبعة أعوام خدم فيها يعقوب راحيل . نجد أنه كان متقدماً جداً فى السن ، أى كان عمره أربعة وثمانين عاماً عندما تزوج ليئة . وفى مقابل ذلك كان عمر دينة تقريباً سبعة أعوام عندما أغتصبها شكيم ، وكان عمر شمعون أثني عشر ، وعمر لاوي أحد عشر تقريباً عندما خربوا هذه المدينة التى يتحدث عنها " التكوين " عن آخرها ، وقتلوا كل سكانها بالسيف . [٣]

مما سبق نجد أن سبينوزا قد قام بفحص الروايات نفسها من حيث ترتيبها وتسلسلها وطريقة تكرارها مع بعض التغييرات ، ثم بين أختلافها فى حساب السنين .

---

(١) الشيخ علاء الدين الباجي : على التوراة ، ص ٨٤ ، ص ٨٥ .

(٢) سفر التكوين : ٤٧ : ٨ – ٩ " فَقَالَ فِرْعَوْنُ لِيَعْقُوبَ: «كَمْ هِيَ أَيَّامُ سِنِي حَيَاتِكَ؟» ٩فَقَالَ يَعْقُوبُ لِفِرْعَوْنَ: «أَيَّامُ سِنِي غُرْبَتِي مِئَةٌ وَثَلاَثُونَ سَنَةً. قَلِيلَةً وَ رَدِيَّةً كَانَتْ أَيَّامُ سِنِي حَيَاتِي، وَلَمْ تَبْلُغْ إِلَى أَيَّامِ سِنِي حَيَاةِ آبَائِي فِي أَيَّامِ غُرْبَتِهِمْ»" .

(٣) سبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص ٢٨٦ – ص٢٨٨ .

ولم يتعرض سبينوزا فى نقده للتوراة لذكر المتناقضات الواردة فى بعض النصوص ، وكذلك النصوص التى تنافى قداسة الذات الإلهية وعصمة أنبيائه . كما فعل علماء المسلمين الذين تعرضوا لنقد التوراة ، وخصوصاً الإمام ابن حزم الذى تمثل منهجه فى نقد التوراة فى بيان معارضة نصوصها بعضها ببعض وإظهار ما فيها من اضطراب وتناقض واختلاف ، ورد الروايات التاريخية التى تصادم مقررات العلوم على ما وصلت إليه فى عصره من الحساب ، والهندسة ، والجغرافيا ، والحيوان ، والنبات ، وغيرهم .

ويتبادر فى ذهننا الآن سؤال مؤداه : هل أعتبر سبينوزا التوراة كتاباً مقدساً أو لا ؟

فى الجواب على هذا التسائل نجد سبينوزا قد حصر معنى " المقدس " و " الإلهى " إلى كل ما يؤدى إلى التقوى وإلى الدين ، أما غير ذلك فلا يكون مقدساً ، فيقول : " يطلق اسم (مقدس) و (إلهى) على كل ما يؤدى إلى التقوى وإلى الدين [١] ، ولا يظل الشئ مقدساً إلا إذا أستمر الناس فى أستخدامه على نحو دينى . فإذا لم يعودوا أتقياء ، ضاعت قدسية ما كان مقدساً من قبل . فمثلاً أطلق البطريق يعقوب على مكان ما اسم (مسكن الله) لأنه عبد الله الذى أوحى إليه فى هذا المكان . أما الأنبياء فقد أطلقوا

---

(١) هناك فرق بين تصور سبينوزا للدين وللتقوى في كتاب " الأخلاق 1v, prop. 37 , school . 1) وتصوره لهما في " الرسالة " ففي كتاب " الأخلاق " الدين هو أحد أسماء الفضيلة وهي الرغبة في البقاء والمحافظة على النفس من حيث أن الإنسان يعمل بالعقل وطبقا لأفكار صحيحة adequates أي أنه دين الحكيم . أما في " الرسالة " فالدين هو مجرد التقوى الباطنية . راجع التفرقة بين هذين التصورين في prumers: spinoz,sReligionsbegniff, Halle, 1906 .

علـى المكـان نفسـه اسـم (مسـكن الطغيـان) [١] لأن الإسـرائيليين اعتـادوا ، تنفيذاً لمشيئة ياربعان ، على التضحية فيه للأوثان " [٢] ، و يقول أيضاً : " لا يكون الكتاب مقدساً ، ولا تكون نصوصه إلهية ، إلا بقدر ما يحث الناس على تقوى الله . فإن تخلوا كلية عن هذه التقوى ، كما تخلى عنها اليهود من قبل أصبح حبراً على ورق أو ضاعت قدسيته كلية ، وأصبح معرضاً للتحريف ، بحيث أنه لو حرف أو فقد ، لكان من الخطأ أن يقال إن كلام الله قد حرف أو فقد ". [٣]

ومن هنا نجد سبينوزا قد رأى أن العهد القديم من حيث أنه يدعوا إلى ماهو ضرورى للطاعة والخلاص لم يكن من الممكن أن يحرف [٤] ، يقول ول ديورنت : " يرى سبينوزا أننا لو فسرنا التوراة على هذا الأساس لما وجدنا فيهما شيئا يتناقض مع العقل . إما إذا فسرناها تفسيراً حرفياً ، فإننا نجدها طافحة بالأخطاء والمتناقضات والأمور المستحيلة كتلك الأسفار الخمسة التى جاء بها موسى " [٥].

---

(١) عاموس ٥ : ٥ " وَلاَ تَطْلُبُوا بَيْتِ إِيلَ، وَإِلَى الْجِلْجَالِ لاَ تَذْهَبُوا، وَإِلَى بِئْرَ سَبْعٍ لاَ تَعْبُرُوا. لأَنَّ الْجِلْجَالَ تُسْبَى سَبْيًا، وَبَيْتَ إِيلَ تَصِيرُ عَدَمًا " ، وهوشع ١٠ : ٥ " عَلَى عُجُولِ بَيْتِ آوَنَ يَخَافُ سُكَّانُ السَّامِرَةِ. إِنَّ شَعْبَهُ يَنُوحُ عَلَيْهِ، وَكَهَنَتَهُ عَلَيْهِ يَرْتَعِدُونَ عَلَى مَجْدِهِ، لأَنَّهُ انْتَفَى عَنْهُ " .

(٢) سبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص ٣٣٩ .

(٣) سبينوزا : المصدر السابق ، ص ٣٤٠ .

(٤) انظر : سبينوزا : المصدر السابق ، ص ٣٣٩ .

(٥) ول ديورنت : قصة الفلسفة ، ترجمة د/فتح الله محمد المشعشع ، مكتبة المعارف ، الطبعة السادسة ، بيروت ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م ، ص ٢٠٥ .

وهكذا نجد سبينوزا قد بين أن العهد القديم بصفة عامة والتوراة بصفة خاصة قد سمى كلام الله ، وذلك من وجهة نظر الدين وحدها ، أى من وجهة نظر القانون الإلهى الشامل ، ولا يمكن أن يكون مختلفاً أو محرفاً أو منقوصاً ، بقدر ما يكون هذا الاسم منطبقاً عليه ، وإنما يسمى النص مختلفاً ومحرفاً ومنقوصاً عندما يكون قد ساء التأليف والكتابة إلى حد لا يمكن معه التعرف على معناه ، سواء بالرجوع إلى الاستعمال اللغوى أو باستخلاصه من الكتاب وحده . (١)

ويرى سبينوزا أن منهجه فى نقد التوراة لا يقلبها رأساً على عقب كما يظن البعض ، وإنما أهمية هذا المنهج تكمن فى حماية النصوص الواضحة والصحيحة من أن تحرف ، فيقول : " فإن قال قائل : إن طريقتى فى معالجة الكتاب تقلبه رأسا على عقب ، إذ يستطيع كل فرد ، باستعمال هذا المنهج ، أن يشك فيه ويعتبره باطلاً من أوله إلى آخره ، ولكنى على العكس من ذلك ، بينت أننى ، بهذا المنهج ، قد نجحت فى حماية النصوص الواضحة والصحيحة من أن تحرف وتشوه بواسطة النصوص الباطلة التى يراد جعلها متفقة معها ، وليس فساد بعض النصوص سبباً فى الشك فى صحة النصوص كلها ، إذ لا يسلم كتاب من الخطأ . فهل شك أحد في صحة كتاب بأكمله لوقوع بعض الخطأ فيه؟ لم يحدث ذلك مطلقا ، وخاصة إذا كان النص واضحاً وفكر المؤلف مفهوماً " (٢).

والواقع لا أتفق مع سبينوزا فى قوله : " ليس فساد بعض النصوص سبباً فى الشك فى صحة النصوص كلها ، إذ لا يسلم كتاب من الخطأ " إذ قد ينطبق ذلك على الكتاب البشرى أما التوراة المنزلة من عندالله تعالى على

(١) انظر : سبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ص ٣٤٤ .

(٢) سبينوزا : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ .

سيدنا موسى عليه السلام فليست بكتاب بشرى وإنما كتاب إلهى سماوى ، والشك فى نص واحد من نصوصها يؤدى إلى الشك فى كل نصوصها ويسقط الاحتجاج بجميعها ، يقول الإمام القرافى : " يسقط الاحتجاج بجميع التوراة لأن باب الزيادة والنقصان قد انفتح . فلا يوثق بشئ بعد ذلك ويجب أجتناب الجميع خشية أن يكون ما زيد وهو محرم كما إذا أختلطت الميتة بالمذكاة يحرم الجميع " (١).

فالكتاب السماوي الذي يجب الخضوع له ، والأئتمار بأوامره ، والانتهاء بنواهيه ، لابد أن يثبت أنه كتاب الله الذي أنزله على النبي الفلاني ، بسند متصل في جميع طبقاته ، متواتر في عامة مراتبه بحيث يكون قد رواه الجم الغفير ، الذي يؤمن تواطؤهم على الكذب ، بلا تغيير ولا تبديل ، ولا زيادة ولا نقصان ، بأن تكون كل طبقة بكثرة عظيمة ، مختلفة الأمكنة ، خالية عن الغرض والعلة والجهل . (٢)

وعلى العموم لم يحافظ اليهود على التوراة الأصلية المنزلة من عند الله تعالى على سيدنا موسى عليه السلام ، وقاموا بفقدانها ، مما أدى إلى تعرضها للتبديل والتغيير ، والزيادة والنقصان ، والاختلاف بين نصوصها .

---

(١)الإمام شهاب الدين القرافى : الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، ص ٢٥٥ .

(٢) انظر : الشيخ باجه جي زادة : الفارق بين المخلوق والخالق ، تصحيح ومراجعة / عبد المنعم فرج درويش ، مطبعة البيان التجارية ، دبي ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م ، ص ٩ . والشيخ رحمت الله الهندي : إظهار الحق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ج١ ، ص ٥٥ . و د/ عبد المنعم الحفنى : موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية ، ص٩٣.

الخاتمة

ظهرت الحركة النقدية للكتاب المقدس في الحضارة الغربية في القرن السابع عشر على أيدي علماء غربيين كان الفضل فيها راجعاً إلى الفيلسوف اليهودي باروخ سبينوزا Baruch Spinoza ١٦٣٢ – ١٦٧٧ م ، الذى يعد من أعظم من تصدى لقومه بالنقد فى العصر الحديث .

فاستخدم منهج النقد التاريخي في نقد التوراة ، وقرر بأدلة من التوراة نفسها على أن موسى لم يكتب التوراة وإنما كتبها إنسان آخر جاء بعده بزمن طويل ، ولا يمكن أن يشتبه إلا في الكاهن عزرا الذي جمعها هو ومن ساعده من الكهنة – بعد فقدانها – من المصادر المختلفة والوثائق المتباينة ، وأضاف إليها العديد من الاضافات والتغييرات بدون فحص أو ترتيب مما أدى إلى الخلط في الأزمنة ، وأختلاف حساب السنين ، والتكرار المستمر لنفس القصص مع بعض التغييرات الخطيرة أحياناً .

ونتيجة لتطبيق منهج نقد النصوص القديمة تطبيقاً علمياً صحيحاً لدى سبينوزا ، فقد ظلت النتائج التى توصل إليها فى مجال نقد التوراة محتفظة بقدر كبير من الصحة والأهمية ، وإن كان في نقده للتوراة لم يتعرض لذكر المتناقضات الواردة في بعض نصوصها ، وكذللك النصوص التي تنافي قداسة الذات الإلهية ، وعصمة أنبيائه عليهم السلام .

وإذا كان سبينوزا قد أثر في معظم العلماء الغربيين الآخرين أصحاب الدراسات النقدية للكتاب المقدس أمثال القس الفرنسي ريتشارد سايمون ، والطبيب جان أستروك ، وغيرهما ، فإنه قد تأثر في نقده للتوراة بالحبر اليهودي الأندلسي إبراهيم بن عزرا الذي ما كان في الحقيقة إلا جسراً عبرت عليه أفكار الإمام ابن حزم الأندلسى حتى وصلت إليه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر و المراجع

أولاً : المصادر والمراجع العربية :

١_ ابن حزم (الإمام أبو محمد) : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى، بيروت ، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م .

٢_ ابن فارس (أبو الحسن أحمد) : مقاييس اللغة ، الجزء الخامس ، مادة " نقد " ، تحقيق / عبد السلام هارون ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م .

٣ _ ابن القيم (الإمام أبو عبدالله محمد الجوزي) : إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، راجعه / محمد الأنوار أحمد البلتاجى ، دار التراث العربى للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .

٤_ ابن كثير (الحافظ أبو الفداء) : البداية والنهاية ، تحقيق د/ أحمد أبو ملحم ، وآخرون ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٨٧ م .

٥_ ابن منظور (العلامة أبو الفضل محمد) : لسان العرب ، الجزء الثالث ، مادة " نقد " ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ .

٦– أبو شبانة (د/ ياسر): جهود علماء المسلمين فى نقد الكتاب المقدس من القرن الأول حتى القرن السابع الهجرى ، عرض ونقد ، دار السحاب للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م .

٧– الباجي (الشيخ علاء الدين علي بن محمد) : على التوراة ، كتاب في نقد التوراة اليونانية ، تحقيق د / أحمد حجازي السقا ، دار الأنصار، الطبعة الأولى ، القاهرة، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م .

٨– البار (د / محمد علي) : المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، دار القلم ، الطبعة السابعة، دمشق ، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م .

٩_ البغدادى (إسماعيل باشا) : هدية العارفين ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٢ م .

١٠_ بوكاى (موريس) : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، ترجمة / الشيخ حسن خالد ، المكتب الإسلامى ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م .

١١_ توملين (أ . و . ف .) : فلاسفة الشرق ، ترجمة/ عبد الحميد سليم ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ م .

١٢- الجوينى (إمام الحرمين أبو المعالى) : شفاء الغليل فى بيان ما وقع فى التوراة والإنجيل من التبديل ، تحقيق د/ أحمد حجازى السقا ، طبعة الرئاسة العامة للبحوث العلمية ، الرياض ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .

١٣_ جى زادة (الشيخ الباجة) : الفارق بين المخلوق والخالق ، تصحيح ومراجعة / عبد المنعم فرج درويش ، مطبعة البيان التجارية ، دبي ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

١٤_ الحفنى (د/ عبد المنعم) : موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ، ١٩٩٤ م .

١٥- الحفنى (د/ عبد المنعم) : موسوعة الفلسفة و الفلاسفة ، مكتبة مدبولى ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ٢٠١٠ م .

١٦_ الحفنى (د/ عبد المنعم) : الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ، مكتبة مدبولى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٨٠ م .

١٧_ حماية (د/ محمد على) : ابن حزم ومنهجه فى دراسات الأديان ، دار المعارف ، الطبعة الأولى، القاهرة ، ١٩٨٣ م .

١٨_ الحنبلى (أبو الفلاح عبد الحى بن العماد) : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، منشورات دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، بدون تاريخ .

١٩_ خليفة (حاجى) : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

٢٠_ ديب (سهيل ميخائيل) : التوراة بين الوثنية والتوحيد ، دارالنفائس ، الطبعة الثانية ، بيرت ، ١٩٨٥م .

٢١_ ديورانت (ول وايل) : قصة الحضارة ، الجزء الثانى من المجلد الأول ، الشرق الأدنى ، ترجمة / محمد بدران ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثالثة ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م .

٢٢_ ديورانت (ول وايل) : قصة الفلسفة ، ترجمة د/ فتح الله محمد المشعشع ، مكتبة المعارف ، الطبعة السادسة، بيروت ، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م .

٢٣_ الذهبى (شمس الدين) : سير أعلام النبلاء ، تحقيق / محب الدين أبى سعيد العمروى ، دار الفكر ، الطبعة الأولى، بيروت ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م .

٢٤_ الرازى (أبو بكر) : مختار الصحاح ، عنى بترتيبه / السيد محمود خاطر ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، الطبعة التاسعة ، ١٣٣٥ هـ - ١٩٦٠ م .

٢٥_ رحمت الله الهندى (الشيخ) : إظهار الحق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٢٦_ الزركلى (خير الدين) : الأعلام ، دار العلم للملايين ، الطبعة السابعة، بيروت ،١٩٨٦ م .

٢٧_ الزغبى (د/ فتحى محمد) : تأثر اليهودية بالأديان الوثنية ، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية ، الطبعة الأولى، طنطا ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

٢٨ـ سبينوزا (باروخ) : رسالة فى اللاهوت والسياسة ، تحقييق د/ حسن حنفى ، دار الطليعة ، الطبعة الرابعة ، بيروت ، ١٩٩٧ م .
٢٩ـ سعيد (حبيب) : المدخل إلى الكتاب المقدس ، صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة ، المطبعة الفنية الحديثة ، بدون تاريخ .
٣٠ـ السقا (د/ أحمد حجازى) : مقدمته للتوراة السامرية بعنوان (مقارنة بين التوراة السامرية والعبرية) ، مكتبة زهران ، القاهرة ، ٢٠٠٨ م .
٣١ـ السقا (د/أحمد حجازى) : من الفروق بين التوراة السامرية والعبرانية فى الألفاظ والمعانى ، دار الأنصار ، الطبعة الأولى، القاهرة ، ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م .
٣٢ – الشرقاوى (د/ محمد عبدالله) : بحوث فى مقارنة الأديان ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .
٣٣ـ شلبى (د/ أحمد) : اليهودية ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السابعة ، ١٩٨٤ م .
٣٤ـ طاهر (د/ حامد) : الفلسفة الإسلامية – مدخل وقضايا ـ دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ١٩٩١ م .
٣٥ـ طومسون (ج . أ .) : التفسير الحديث للكتاب المقدس ، العهد القديم ، سفر التثنية ، ترجمة / القس جاد المنفلوطى ، دار الثقافة ، الطبعة الأولى، القاهرة ، بدون تاريخ .
٣٦ـ ظاظا (د/ حسن) : الفكر الدينى اليهودى أطواره ومذاهبه ، دار القلم ، الطبعة الرابعة ، دمشق ، ١٩٩٩ م .
٣٧ـ عبد الرزاق (د/ أحمد قنديل) : الأثر الإسلامى فى الفكر الدينى اليهودى ، دار التراث بالقاهرة ، بالإشتراك مع مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس ، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م .

٣٨_ عبد العليم (د/ مصطفى كمال) : اليهود فى عصر البطالمة والرومان ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٨ م .
٣٩_ عبد المجيد (د/ محمد بحر): اليهودية ، مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة ، بدون تاريخ .
٤٠_ عثمان (د/ أحمد) : تاريخ اليهود ، الجزء الثانى ، مكتبة الشروق ، القاهرة ، بدون تاريخ .
٤١_ على (د/ فؤاد حسنين) : التوراة الهيروغليفية ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، بدون تاريخ .
٤٢- الفيروزآبادى : القاموس المحيط ، دار الجيل ، بيروت ، بدون تاريخ .
٤٣_ قاسم (د/ محمود) : المنطق الحديث ومناهج البحث ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، بدون تاريخ .
٤٤_ قاموس الكتاب المقدس ، تأليف نخبة من الأساتذة ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين ، بإشراف د/ بطرس عبد الملك ، وآخرون ، دار الثقافة ، الطبعة الثانية عشر، القاهرة ، بدون تاريخ .
٤٥_ القرافى (الإمام شهاب الدين أحمد) : الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ، تحقيق د / بكر زكى عوض ، رقم (١) من سلسلة مقارنة أديان كلية أصول الدين بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م .
٤٦_ القرطبى (الإمام أبو عبدالله محمد) : الإعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام ، تحقيق د/ أحمد حجازى السقا ، دار التراث العربى ، القاهرة ، بدون تاريخ .
٤٧_ كحالة (عمر رضا) : معجم المؤلفين ، مكتبة المثنى ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، بدون تاريخ .

٤٨_ كدنر (ديريك) : التفسير الحديث للكتاب المقدس ، العهد القديم ، سفر التكوين ، ترجمة / القس بخيت متى ، دار الثقافة ، الطبعة الأولى، القاهرة ، بدون تاريخ .

٤٩_ المسيرى (د/ عبد الوهاب محمد) : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ، الجزء الثالث ، والجزء الخامس ، دار الشروق ، الطبعة الأولى، القاهرة ، ١٩٩٩ م .

٥٠_ المغربى (السموأل بن يحيى) : بذل المجهود فى أفحام اليهود ، قدم له / عبد الوهاب طويلة ، دار القلم ، الطبعة الأولى، دمشق ، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م .

٥١_ مهران (د/ محمد بيومى) : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء التاسع ، إسرائيل ، طبعة الإسكندرية ، ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م .

٥٢_ هنرى (كاترين) : التاريخ فى الكتاب ، خلاصة كتابين باللغة الإنجليزية ، تلخيص حبيب سعيد ، صدر عن دار التأليف والترجمة والنشر للكنيسة الأسقفية بمصر ، مطبعة النيل المسيحية ، بدون تاريخ .

٥٣_ وافى (د/ على عبد الواحد) : الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٩ م .

٥٤_ وافى (د/ على عبد الواحد) : فقه اللغة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، بدون تاريخ .

ثانياً : المراجع الأجنبية :

1- prumers : spinoz,s Religionsbegniff ,H alle ,1906.